المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ١ رمضان سنة ١٣٢٠

المتحف المصري

المتاحف قديمة العهد منشأها هذا القطر اولها متحف الاسكندريَّة الذي أُنشئ سنة ٢٨٠ قبل المسيح وكان خزانة للكتب ومنتدًى للعلماء . واقتبسها الاوربيون من المصريين وجعلوها دورًا للعاديات والصور والتماثيل ثم توسَّعوا فيها فجعلوا بعضها للمصنوعات على اختلاف انواعها وبعضها للحيوانات او للنباتات او الجمادات

ولما كثر اكتشاف الآثار المصرية في عهد سعيد باشا اذن للشهير ماريت سنة ١٨٥٨ ان يستعمل دار الصنعة القديمة في بولاق متحفًا لها او مخزنًا تخزن فيهِ . وكانت تلك الدار ضيقة لا تزيد مساحتها ومساحة الحديقة التي امامها على خمسة آلاف متر مربع فاضطر مريت ان يبقي كثيرًا من الآثار التي اكتشفها في اماكنها لضيق الدار . ثم ان الآثار التي نقلها اليها كانت في خطر دائم من ارتفاع النيل وجرفهِ اياها مع البناء الذي هي فيهِ . واخيرًا قرَّ القرار على نقلها الى دار ارحب وآمن فنقلت الى قصر الجيزة

وذلك القصر كبير جدًّا كما لا يخفى ولكن رجال البحث والتنقيب زادوا عددًا فكثرت المكتشفات حتى ضاق بها فلذلك ولبعدهِ عن العاصمة ولأَن في جدرانهِ وسقفهِ كثيرًا من الخشب فيخشى من احتراقهِ دوامًا قرَّ قرار الحكومة المصرية بعد بحث طويل على بناء متحف خاص في المكان الذي بني فيهِ قرب قصر النيل واقترحت على راسمي الابنية ان يرسموا لها بناء وافيًا بالغرض وعينت الف جنيه تعطيها جوائز للرسوم الخمسة الفضلى واشترطت ان لا تزيد نفقات البناء على مئة وعشرين الف جنيه مصري

فتبارى الرسامون في هذا المضمار وعرضت الحكومة ٨٤ رسمًا من رسومهم سنة ١٨٩٥

واختارت خمسة منها اعطت اصحابها الجوائز واخيرًا اختارت رسمًا من هذه الخمسة وهو رسم المسيو دورنيون الباريسي ثم طلبت منهُ ان يرسم لها رسمًا آخر ينطبق على ما طلبهُ المسيو ده مورغان الذي كان مدير المتحف حينئذٍ . والذين شاهدوا تلك الرسوم البديعة وشاهدوا المتحف في حالتهِ الحاضرة ورأَوا المباني المصرية القديمة وحجارتها الصلبة يقولون معنا انهُ لو عينت الحكومة المصرية الجوائز لمن يرسم لها ابعد الرسوم عن جمال البناء واقربها الى التلف المستمر لنال الجائزة الاولى الرسم الذي جرت عليهِ . وعذر المدافعين عنها انها لو جعلت البناء اجمل من الآثار التي توضع فيهِ لبانت قبيحة بالنسبة اليهِ

وعُرض بناء المعرض على المقاولين فرضي المقاولان الايطاليان غارسُّو وزفراني ان يبنياهُ بثلاثة وتسعين الفًا وخمس مئة جنيه وجنيهين ويتماهُ في ستة وعشرين شهرًا فانيط بهما ذلك وشرعا في البناء في اوائل سنة ١٨٩٧ فلم يتماهُ الَّا في اربع سنوات وثمانية اشهر وبلغت نفقاتهُ ١٨٩٢٢٠ جنيهًا

وفي الخامس عشر من شهر نوفمبر احتُفل بافتتاحهِ رسميًّا بحضور الجناب الخديوي وحضرات نظار حكومتهِ ووكلاء النظارات ومختار باشا الغازي ووكلاء الدول واللورد كتشنر وسردار الجيش المصري وجمهور كبير من وجهاء العاصمة الوطنيين والاجانب ووقف سعادة فخري باشا ناظر الاشغال العمومية بين يدي الجناب الخديوي امام باب المتحف وتلا مقالة وجيزة باللغة الفرنسوية وهذه ترجمتها نقلاً عن الجريدة الرسمية

مولاي في اول ابريل من عام ١٨٩٧ تفضل جنابكم الفخيم فوضعتم بيمينكم الكريمة الحجر الاول من دار الآثار المصرية وفي يومنا هذا اقدم لمقامكم السامي بمزيد الابتهاج هذه العمارة وقد كمل بناؤُها وترتيب اوضاعها

ولقد بذل المهندسون بنظارة الاشغال وعمال دار الآثار منتهى العناية والاهتمام فكان تشييد البنيان وتنسيق الآثار على غاية ما يرام

مولاي ان ارض مصر المباركة تدر على اهلها الخير الوفير بمحصولاتها العديمة النظير جزاءً لهم على حسن قيامهم بخدمتها وفوق ذلك ففي احشائها كنوز اخرى تنفتح مغالقها وتتجلى غوامضها امام العلماء الصابرين الذين يوالون البحث عليها ويواظبون في التنقيب عنها حتى اذا تكشفت لهم غوامضها ابرزوها على رؤُوس الاشهاد لتكون عجبًا باقيًا للناس وعبرة للعالمين

هذه الكنوز الثمينة التي تدلنا على تفنن الاقدمين في الصنائع والمعارف وتخبرنا بحضارتهم الزاهرة على ضفاف النيل في الزمان العتيق قد اصبحت اليوم في هذه الدار وهي في امان من

الضياع والدمار بل في حرز حريز يليق بقيمتها العالية فكيف لا تتباهى مصر وقد صار في وسعها ان تجلو امام ابصار العلماء والمتفننين والسائحين والمولعين بطرائف الاقدمين ما حوتهُ عاصمتها المحروسة في هذه الدار من بدائع المجاميع وعجائب الآثار

فتكرم يا وليّ النعم بافتتاح دار الآثار المصرية وشرفها بزيارة تكون لها طالع يمن واقبال

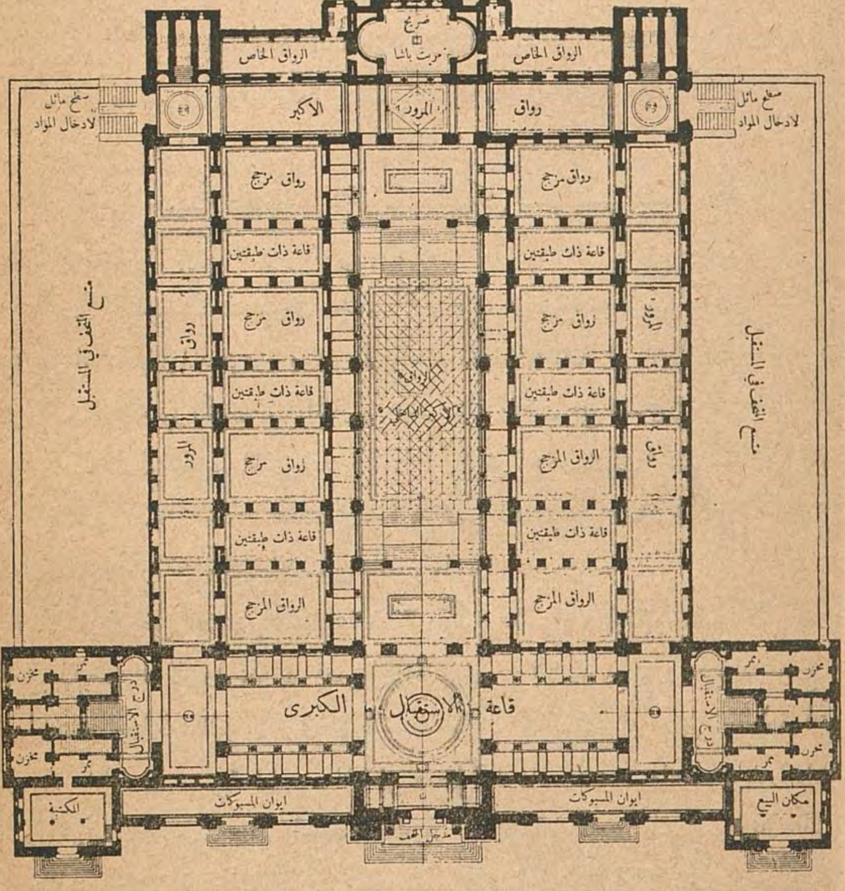
ضريح
موريت باشا
الرواق الخاص
الرواق الخاص
منحدر مائل لادخال المواد
منحدر مائل لادخال المواد
الاكبر
المرور
رواق
رواق مزجج
رواق مزجج
قاعة ذات طبقتين
قاعة ذات طبقتين
رواق مزجج
رواق مزجج
متسع للتحف في المستقبل
متسع للتحف في المستقبل
رواق
قاعة ذات طبقتين
قاعة ذات طبقتين
رواق مزجج
الرواق المزجج
قاعة ذات طبقتين
قاعة ذات طبقتين
الرواق المزجج
الرواق المزجج
مخزن
ممر
درج الاستقبال
الكبرى
الاستقبال
قاعة
درج الاستقبال
مخزن
ممر
ايوان المسبوكات
ايوان المسبوكات
الكتبخانة
مكان البيع
مدخل المتحف

فيزداد بهمة مديرها العلامة ماسبرو ما فيها من التحائف والطرائف وتنتشر سمعتها وشهرتها في الخافقين

فتلا الجناب العالي جواب ذلك بالفرنسوية وهذه ترجمتهُ نقلاً عن الجريدة الرسمية ايضاً

يا سعادة الناظر . أفتح دار التحف المصرية الجديدة بصدر ملؤهُ الانشراح وهي التي سبق ان وضعت اول حجر من اساسها

واشكر لسعادتكم ولكبار الموظفين الذين اشتركوا معكم في العمل مسعاكم الذي اقترن بالنجاح في اتمام هذا البناء الفخيم وكذلك أُقدّم شكراني للمسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار ورئيسها الجليل الذي اعتقد انهُ تمكن هو واعوانهُ العلماء من تنسيق هذه الآثار النفائس واخراجها للناس في اكمل نظام وهي مما تركت لنا تلك الامة التي استحقت ان تعدّ من امهات الحضارة في العالم

وان مصر لتذكر الجميل لجماعة المشتغلين بآثارها القديمة من رجال العلم أخص بالذكر منهم المأسوف عليهِ مريت باشا وتعترف لهم باليد الطولى في اجتماع هذه الكنوز التي تزداد ظهورًا وكثرة على الايام

فاليوم اراني سعيدًا وفخورًا ان افتح ابواب الهيكل الذي يضم هذه الكنوز والذي اقيم ليذكر الناس عصرًا كبيرًا ألا وهو ماضي بلادي

ثم فتحت ابواب المتحف فدخلهُ الجناب الخديوي وبين يديهِ المسيو ماسبرو يشرح لهُ ما يرى ووراءهُ جمهور المدعوين وطاف في اقسام المتحف المختلفة الى ان اتى على آخرهِ وكان هناك مائدة عليها صور المتحف من الخارج ورسم بنائهِ وزعت على المدعون وعنهما نقلنا الرسم الذي في هذه المقالة والرسم الذي صدرنا هذا الجزء بهِ . واقيم شرقي المتحف سرادق فخيم فيهِ انواع المرطبات فدخلهُ الجناب الخديوي وتلاهُ جمهور المدعوين واعاد شكرهُ لسعادة فخري باشا وللسر وليم غارستن وكيل الاشغال وللمسيو ماسبرو

ومساحة الارض المختصة بالمتحف ٣٠٦٢٥ مترًا مربعًا . وفي طبقتيهِ ما مساحتهُ ١٥٠٥٠ مترًا مربعًا لوضع الآثار ولم يكن في قصر الجيزة سوى ٩٧٠٠ متر مربع ويمكن ان يوسع بناء المتحف باضافة جناحين اليهِ كما ترى في الرسم . اما شكلهُ الظاهر فيرى من الصورة التي في صدر هذا الجزء وهو مبنيٌّ بالحجر الابيض ومطليٌّ اسفلهُ بالسمنت واعلاهُ بالجير والجبس وداخلهُ مطليٌّ كلهُ بالجبس وفي واجهتهِ صفائح من الرخام كتبت عليها اسماء علماء الآثار المصرية باللغة اللاتينية . وحبذا لو بُنيت جدرانهُ بالحجر النحيت الذي لا يتفتت وجعلت عمدهُ من المرمر او الرخام حتى يضارع ما فيهِ من الآثار وحتى لا يقال ان ابناء القرن العشرين بعد المسيح عجزوا عمّا استطاعهُ ابناء القرن العشرين قبلهُ . وعسى ان تتم هذه الامنية عند بناء الجناحين فيجعل ظاهرهما من الحجر النحيت وتقام امام الواجهة واجهة اخرى على عمد رفيعة من المرمر تليق بفخامة المتحف وما فيهِ من التحف

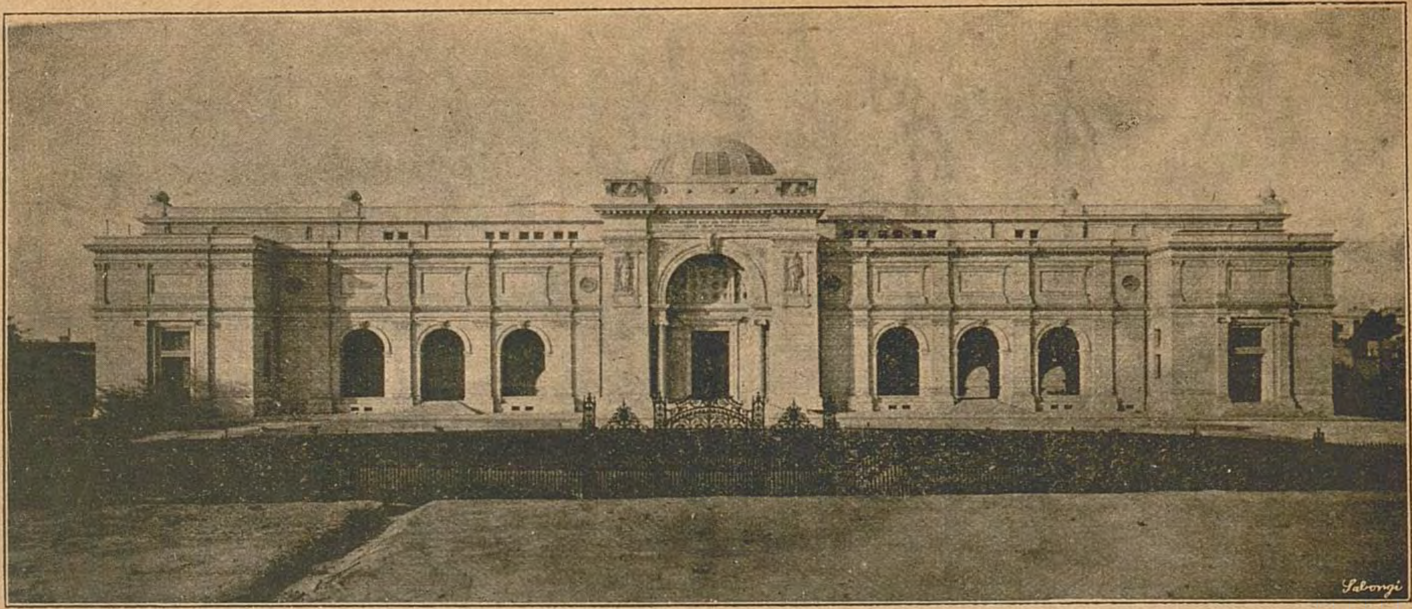

المتحف المصري
من الجهة الجنوبيّة

كلية غوردون

واذا نظرت الى البلاد رأيتها   تشقى كما تشقى العباد وتسعدُ

وما اصدق هذا القول على السودان فقد عهدناهُ منذ سنوات قليلة مرتعًا للجور والظلم ومرسحًا للاستبداد وسفك الدماء اسدلت حجب الغباوة على اهلهِ واذيقوا مرارة التعاسة والشقاء حتى لم يبقَ في تلك البلاد الواسعة الأَرجاء اثر للعدل والعمران وحتى بات الناس يضربون المثل بتوحش حكامها واستبدادهم الفظيع ويتوجعون لبضعة ملايين من اخوانهم باتوا تحت رحمة العتاة الظلاَّم من اولياء الامر فيهم ويتمنون لو يقوم من السودانيين من ينقذهم من قبضة يدهم ويريحهم من شرهم ويمهّد للبلاد سبيل التمدن والعمران فتنفتح ابوابها للتجارة وتنشط فيها الزراعة من السبات العميق الذي أُلقي عليها

وكأن الرجل الذي قاد الجيوش المصرية والجنود الانكليزية الى مواقع النصر ومواطن الظفر لم يكفهِ محو سلطة الدراويش وثل عرش التعايشي بل رأى بعين بصيرتهِ النقَّادة ان هذا الفتح سيحلّ السودانيين من قيودهم فيطلبون الارتقاء والتقدم بحكم السنن الطبيعية فاستنجد ذوي الفضل والسخاء من بين امتهِ وطلب اليهم ان يسعفوا السودانيين فيوافوهُ بما تجود بهِ ايديهم من المال لانشاء مدرسة كلية في الخرطوم تذكارًا للبطل غردون الذي بذل حياتهُ في الدفاع عن تلك المدينة فبادر القوم الى اجابة ندائهِ وبعد زمان قصير زاد ما تبرّع بهِ الفضلاء لهذا الغاية عمَّا طلبهُ مبتكر المشروع فوضع اساس المدرسة وابتدأَ العمل فيها بهمة وجدٍ ثم دُعي الى جنوب افريقية فكلف سعادة حاكم السودان العام ان يتولَّى ادارة العمل بالنيابة عنهُ فافرغ جهد المستطاع في اتمام البناء على الوجه المطلوب

وقد احتفل بفتح هذه المدرسة في ٨ نوفمبر الماضي احتفالاً باهرًا قصدهُ اللورد كتشنر في طريقهِ الى الهند فزين بناؤُها اجمل زينة واصطفت فرقة من الجنود على رصيفها لتأدية السلام العسكري حتى اذا ما وصل اللورد كتشنر حيتهُ فمشى بين صفين من الطلبة ولمَّا استقرّ بهِ المقام انبرى سعادة السر ريجنلد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العامّ فرحَّب بهِ باسم الجيش الانكليزي والمصري في السودان ورجال الحكومة السودانية وعلماء البلاد ومشايخها واعيانها واشار الى غيبتهِ في جنوب افريقية وما لقيهُ من الفوز في انجاز الحرب فيها واعرب عن فرح الجميع برؤْيتهِ من الجنود التي تولَّى قيادتهم الى الاهلين الذين يذكرونهُ طول عمرهم كمنقذهم من قبضة الخليفة وكاول حاكم بريطاني للسودان بعد ذلك البطل غوردون باشا الذي

بذل جهدهُ في المحافظة على سطوة الحكومة المصرية وباع حياتهُ في الدفاع عنها منذ ١٨ سنة الى ان قال " وقد ارتأَيتم ان تخلدوا ذكر اعمالهِ المجيدة في السودان بانشاء مدرسة كلية تدعى باسمهِ ولا اتولَّى الكلام عمَّا جرى بعد ان اعلنتم رغبتكم هذه وحسبي ان اقول ان نداءكم اجيب بسرعة غريبة فانهالت العطايا من كل حدب وصوب وفي زمن قصير جُمع مبلغ طائل من المال وكان اكثرهُ من بريطانيا العظمى وبعضهُ من كندا واوستراليا وزيلاندا الجديدة ومستعمرة الراس والولايات المتحدة والهند ومصر . ولما انتقلت الملكة فكتوريا الى رحمة ربها اتخذ جلالة الملك المدرسة تحت رعايتهِ اقتداءً بوالدتهِ وقد قال اللورد سالسبري في كلامٍ لهُ عن هذه المدرسة "ان الخاطر الذي خطر لكم واجبٌ وجبهُ علينا نموّ الامبراطورية واتساع ارجائها وان من اشرف الاعمال ازالة الموانع الجنسيَّة لتأْييد الاشتراك العقلي بين الامم وتسهيل ترقية البشر" وقبل ان دعيتم الى جنوب افريقية كان العمل قد ابتدأَ في البناء ونجز قسم منهُ فأُلقي على عاتقي القيام باتمامهِ على الوجه الذي ارتأَيتموهُ فاقتضت الحال احداث تعديل طفيف في البناء وساترك لكم الحكم فيما اذا كنَّا قد احسنَّا القيام برغبتكم وحققنا املكم والاستعداد جارٍ لاستقبال المعمل البكتيريولوجي والتحليلي الذي تكرَّم بهِ المستر ولكم والعمل جارٍ في تشييد بناء خاص بالجهاز الذي اهداهُ الكريم السر وليم ماذر لتعليم الصناعات والاشغال اليدويَّة وسيتولَّى المستر كري مدير المدرسة الكلام في هذه الشؤُون مفصلاً لكنني اغتنم الفرصة للاشارة الى المساعدة التي بذلتها لنا نظارة المعارف العموميَّة المصريَّة ومن موجبات سروري ان السكرتير العامّ للنظارة المشار اليها موجود بيننا اليوم وفي الختام اقول انني ما دمت حاكم السودان العامّ فسأَبذل الجهد في انجاح هذه المدرسة التي سيكون لها نفع جليل في تقدم البلاد وارتقائها

وعقبهُ المستر كري مدير المدرسة فقرأَ كتابًا من السر وليم ماذر الى اللورد كرومر اعرب فيهِ عن الغاية التي يطلبها في اهدائهِ هديتهُ النفيسة وهذه الهديَّة مؤَلفة من جهازات كاملة من قزانات وآلات بخارية وكربائية وطلمبات لرفع الماء من النيل الى المدرسة وادوات للشغل في الخشب والمعادن ورسوم خاصة بهذه الآلات وكيفيَّة تركيبها ووضعها . ومما جاء في هذا الكتاب قولهُ " امَّا الغرض من انشاء هذا القسم الصناعي فهو تسهيل التعليم لابناء السودان فيقرنون العلم العقلي الذي يتلقونهُ في غرف الدرس بالعلم العملي اذ من المعلوم والمتفق عليهِ ان الصغار سريعو التعلُّم جيّدو الحفظ فاذا اهتموا بما يشغل ايديهم وعيونهم واذهانهم باستعمال الآلات والادوات والعمل في الموادّ المختلفة تمكنت فيهم دقة النظر والاعتناء والاستنتاج العقلي الصحيح مما يؤُول الى ترقية قواهم المولَّدة فيصل الاثر المطلوب الى العقل عن طريق

الحواس ومن الواجب ان تكون الطبيعة ودرسها خير الوسائل الفعَّالة في تعليم الامم السريعة التأثُّر من المظاهر الخارجيَّة كالامتين المصرية والسودانية فاذا تمثَّلت النواميس الطبيعية للطلبة في الاشباح والاشياء المحسوسة في معامل المدرسة اصبحت هذه النواميس مألوفة لديهم. ثم ان التعليم العملي الذي يشغل العين واليد والفكر ما بين رسم باليد او بالآلات ونقل تلك الرسوم الى المعادن والاخشاب وتمثيلها فيها واستعمال الادوات المختلفة تدريجًا على اسلوب الارتقاء العقلي لمن الامور التي تعوّد الطالب على التعليل العلمي الصحيح دون ان يتكلَّف مشقة او عناء فان الاعمال اليدوية تمرّن اليدين وتكسبهما اللباقة فضلاً عن انها تجلو العقل وتلذّ الحواس فتكون النتيجة التعليم في اوسع معانيهِ وارفعها اذ تشتدُّ قوَّتا الملاحظة والتعليل ويتسع الفهم والادراك اتساعاً يمكن الانتفاع بهِ في جميع الاعمال أَضِفْ الى ذلك ان الطلبة يتخلصون من السآمة والضجر اللذين يلازمان التدريس العاديّ فان الاوَّل ينمي العقل والثاني يملأُهُ والفرق بين الاثنين جليٌّ واضح ". . . .

وقد قال المستر كري ان في الخرطوم وام درمان مدرستين ابتدائيتين ومدرسة ثالثة لاعداد المعلمين من الوطنيين وان عدد الطلبة في المدارس الثلاث ٤٥٠ وان في حلفا وسواكن مدرستين اخريين ومدرسة صغيرة في بربر وانهم ينوون فتح مدرسة اخرى في دنقله في اول السنة القادمة. ثم اشار الى رغبة الاهلين في تعليم اولادهم واقبالهم على هذه المدارس وتنشيطهم رجال الحكومة وان العلماء منهم يشدون ازرها. وتلاهُ سر تجار الخرطوم ونظار مدارس ام درمان والخرطوم وبربر. ولمَّا فرغوا وقف اللورد كتشنر فشكر سعادة السردار على ترحيبهِ بهِ بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن اصدقائهِ في السودان واشار الى ما لقي من الحفاوة والاكرام من جميع الذين عرفوهُ ابَّان وجودهِ في الجيش المصري الى ان قال مخاطباً الحاكم العام

"لمَّا دعيت الى جنوب افريقية ابقيت لسعادتكم الاهتمام بهذا المشروع الذي يمهد للسودانيين سبيل تلقي العلوم العالية وقد سررت سرورًا فائقًا اذ وجدت لدى عودتي ان اقصى الهمَّة بُذِل في سبيل نيل تلك الغاية ودهشت اذ شاهدت ما تمَّ من البناء واني اوافق المستر كري على ما قالهُ من ان هذا المشروع لا يكمل على الوجه المطلوب الاَّ بعد مدَّة طويلة لكني اعترف انني لم احلم بمثل هذه السرعة في العمل واثق انهُ اذا ظلت الهمة مبذولة على هذا المنوال في ادارة كلية غوردون فنجاحها سيكون كالذي قدرتهُ لها او يفوقهُ وقد اتضح لنا ان اهل السودان راغبون في تعليم اولادهم وانهم مجمعون على استحسان الخطة التي وضعناها لبلوغ هذه الغاية في المستقبل وانهم مستعدون لبذل ما في وسعهم في موآزرتنا وقد استفدنا من اختبارنا في المدارس

الابتدائية السودانية ان الطلبة قابلون التعليم فقد اتصل بي ان هذه المدارس على حداثة عهدها تضارع مدارس مصر الابتدائية فلم يعد في وسعنا سوى الاعتراف ان ليس هناك ما يمنع نموَّ التعليم وارتقاءهُ في السودان وانهُ لا ينقصنا الفتيان المشتاقون الى تحصيلهِ . ويسرُّني ان ارى على وجوه الطلبة الذين بيننا من امارات النجابة ما يدفعنا الى الثقة بان لدينا ارضاً خصبة يعود العمل فيها بالاقبال على البلاد فتصبح مركزًا للتمدن بعد ان كانت كما تعلمون جميعاً لكنني لا ازال اقول ما قلتهُ آنفاً من أن هذه الآمال لا تتحقق الَّا بعد زمان طويل . وقد كان الغرض من تسمية هذا الصرح التذكاري مدرسة كليةً اقامة معلَم يكون في المستقبل بمثابة النواة للتعليم الثانوي والعالي والصناعي في السودان فيتخرج فيهِ شبان فيهم الكفاءة لتولي المناصب التي تحتاج الى امثالهم الآن في بلادهم وسانتظر بملء الصبر والسرور تلك النتيجة العظيمة التي تنتجها هذه المدرسة واستحسن في الوقت عينهِ ان ينفق ريع مال الكلية على نشر التعليم الابتدائي في انحاء السودان ولي امل كبير (كما قال المستر كري) انني متى انقضت مدة خدمتي في الهند وهي خمس سنوات اعود الى الخرطوم فارى الكلية سائرة على الخطة التي وُضعت لها وليس انتظار خمس سنوات او عشر بالانتظار الطويل اذا قضيت هذه السنوات بجدٍ وهمة في انجاح مشروع يؤُول الى تنوير امة باسرها وتحسين آداب جنس . واني ارى بعين الامل مئتي طالب في هذه المدرسة وفرقة من المعلمين الانكليز الاكفاء يعيشون معهم بالوفاق والوئام فيهذبونهم ويدربونهم وينيرون عقولهم حتى تنمو آدابهم ويصبحوا قادرين على تولي المهام في الجيش والخدمة الملكية والاعمال الصناعية . نعم ان مال المدرسة البالغ مئة الف جنيه لا يؤدي ريعاً يكفي للقيام بنفقات التعليم الثانوي في المستقبل ولكنني واثق ان سعادة الحاكم العام بصفتهِ رئيساً للمدرسة وكونهِ غير مقيد بشيءٍ من القيود في ادارتها يستطيع ان يدخل من التحوير والتبديل ما تقتضيهِ الحال حتى تظل المدرسة قادرة على القيام بما يُطلَب منها . ومتى اخذت تسير في خطتها فلا ريب في زيادة مالها بما تمنحها الحكومة وما يأتيها من اجور التعليم بحيث تستطيع ان تماشي البلاد في تقدمها وارتقائها . ثم اثنى على جميع الذين اسعفوا المدرسة بهباتهم وخصَّ منهم السر وليم ماذر والمستر ولكم وقال ان الكلية ينقصها كثير من المعدَّات وانها تقبل ما يأتيها من الهبات بسرور وشكر اللورد كرومر والسردار على ما بذلاهُ من الهمة في تحقيق آمالهِ وعدهما شريكين لهُ في العمل وبعد ان دعا للمدرسة بالنجاح اعلن فتحها رسمياً

وسيكون فتح هذه الكلية في الخرطوم فاتحة عصر جديد للسودان فتبزغ فيهِ شمس المعارف والعلم وترسل انوارها فتبدد غياهب الجهل وتعد شبان السودان ليكونوا رجالهُ في المستقبل

ارسطوطاليس والمتنبي

للحاتمي

قال الامام ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي المعروف بالحاتمي لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللغوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعرهِ على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارد بهِ في شعرهِ مع ارسطو في حكمهِ لانهُ ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم . وان يكن ذلك منهُ على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك . وهو في الحالين على غاية الفضل . وقد اوردت من جملهِ ما يستدل بها على فضلهِ

ارسطو — اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك النفس دون بلوغها
المتنبي   واذا كانتِ النفوس كبارًا   تعبت في مرادها الاجسامُ

ارسطو — روم نقل الطباع من ذوي الاطماع شديد الامتناع
المتنبي   يُراد من القلبِ نسيانكم   وتأبي الطباعُ على الناقلِ

ارسطو — نفوس الحيوان اغراض لحوادث الزمان
المتنبي   اذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فاهون ما يمرُّ بهِ الوحولُ

ارسطو — اذا تجردت اللطائف من الشكوك اكتسبت الصورة رونقًا
المتنبي   اذا خلعتُ على عِرضٍ لهُ حُللاً   وجدتها انتَ في أبهى من الحللِ

ارسطو — الالفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل لنبو احساسهم عن دركها
المتنبي   بذي الغباوةِ من انشادِها ضَرَرٌ   كما تضرُّ رياحُ الوردِ بالجُعَلِ

ارسطو — تعاقب ايام الزمان . مفسدة لاحوال الحيوان
المتنبي   فما ترجّي النفوس من زمن   احمد حاليهِ غير محمودِ

ارسطو — الزمان ينشئُ ويلاشي . ففناءُ كل قوم سبب لكون قوم آخرين
المتنبي   بذا قضَت الايَّامُ ما بينَ اهلها   مَصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

ارسطو — يسيرٌ من ضياء الحس خير من كثير من درس الحكمة
المتنبي   فانَّ قليلَ الحُبِّ بالعقلِ صالحٌ   وانَّ كثير الحُبِّ بالجهلِ فاسدُ

ارسطو — من علم ان الكون والفساد يتعاقبان الاشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمهِ انهُ من كونها وهان ذلك عليهِ لعجز الكل عن دفع ذلك

المتنبي اذا استقبلتْ نفس الكريم مصابها بخبثٍ ثنتْ فاستدبرتهُ بطيبِ

ارسطو — النفوس المتجوهرة تأبى مقارنة الذلة وترى فناها في ذلك حياتها والنفس الدنية بالضد من ذلك

المتنبي فحبُّ الجبان النفسَ اورده البقا وحب الشجاع الذكر اورده الحربا

ارسطو — ترك حركات الفلك تحيل الكائنات على جهاتها

المتنبي ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينهِ حتى يرى صدقها كذبا

ارسطو — باعتدال الامزجة وتساوي الاحساس يفرق بين الاشياء واضدادها

المتنبي وما انتفاع اخي الدنيا بناظرهِ اذا استوت عندهُ الانوار والظلَمُ

ارسطو — من لم يردك لنفسهِ فهو النائي عنك وان تباعدت انت عنهُ

المتنبي اذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

ارسطو — من علم ان الفناء مستولٍ على كونهِ هانت عليهِ المصايب

المتنبي والهجرُ أقتلُ لي مما أُراقبهُ انا الغريقُ فماخوفي من البللِ

ارسطو — العيان شاهد لنفسهِ والاخبار يدخل عليها الزيادة والنقصان فاولى ما أُخذ ما دل على نفسهِ بالنظر

المتنبي خذ ما تراهُ ودع شيئاً سمعت بهِ في طلعة البدر ما يغنيك عن زحلِ

ارسطو — قد يفسد العضو لصلاح الاعضاء كالكي والفصد اللذين يفسدان الاعضاء

المتنبي لعل عتبك محمودٌ عواقبهُ وربما صحَّت الاجسامُ بالعللِ

ارسطو — مباينة المتكلف المطبوع كمباينة الحق الباطل

المتنبي لانَّ حلمك حلمٌ لا تكلَّفهُ ليس التكحُّل بالعينين كالكحلِ

ارسطو — الرجاء تمنٍّ والشك توقُّف وهما الامل

المتنبي واحلى الهوى ماشك في الوصل ربُّهُ وفي الهجر فهو الدهرَ يرجو ويتقى

ارسطو — علل الافهام اشد من علل الاجسام

المتنبي يهون علينا ان تصاب جسومنا وتسلم اعراضٌ لنا وعقولُ

ارسطو — من تخلى عن الظلم بظاهر امرهِ وعفت جوارحهُ وكان مساكناً بحواسهِ فهو ظالم

المتنبي   واطراقُ طرفِ العين ليس بنافعٍ   اذا كان طرفُ القلب ليس بمطرقِ

ارسطو — من يجعل الفكر في موضع البديهة فقد اضرَّ بخاطرهِ وكذلك من جعل البديهة موضع الفكر

المتنبي   ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

ارسطو — مباعدة الجواهر ابعد من التنائي بمباعدة الاجسام

المتنبي   واتعب من ناداك من لا تجيبهُ   واغيظ من عاداك من لا يشاكلُ

ارسطو — اذا لم تنصرف عن النفس شهواتها ومرادها فحياتها موت ووجودها عدم

المتنبي   ذلَّ ما يغبطُ الذليل بعيشٍ   ربَّ عيشٍ اخف منهُ الحمامُ

ارسطو — الفرق بين الحلم والعجز ان الحلم لا يكون الَّا عن قدرة والعجز لا يكون الَّا عن ضعف فليس للعاجز ان يتسمى باسم الحليم وهو عاجز

المتنبي   كل حلمٍ اتى بغير اقتدارٍ   حجةٌ لاجئٌ اليها اللئامُ

ارسطو — النفس الذليلة لا تجد الم الهوان والنفس الكريمة ترى الاشياء بطبعها

المتنبي   من يهُن يسهل الهوان عليهِ   ما لجرحٍ بميتٍ ايلامُ

ارسطو — الجاهل لا يحلو عندهُ طعم العلم بل يجد لهُ ثقلا كما يثقل على المريض الادوية النافعة ويحلو لهُ في فمهِ غير طعمها

المتنبي   ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ   يجد مرًّا بهِ الماءَ الزلالا

ارسطو — ليس جمال ظاهر الانسان مما يستدل بهِ على حسن فعلهِ وفضلهِ

المتنبي   لا يعجبنَّ مصونًا حسنُ بزَّتهِ   وهل يروقُ دفينًا جودةُ الكفنِ

ارسطو — اقرب القرب مودات القلوب وان تباعدت الاجسام وابعد البعد تنافر القلوب وان تقربت الاجسام

المتنبي   وابعد بُعدنا بُعد التداني   واقرب قربنا قرب البعادِ

ارسطو — اذا كان البناءُ على غير قواعد كان الفساد اقرب اليهِ من الصلاح

المتنبي   فانَّ الجرح يفسد بعد حينٍ   اذا كان البناءُ على فسادِ

ارسطو — لا يجد لذة الحياة من لا يجد لشهوتهِ دراكًا ولا لامر دراكهِ تصرفًا

المتنبي   من لا توافقهُ الحياة وطيبها   حتى يوافق عزمهُ الانفاذا

ارسطو — من نظر بعين العقل ورأى عواقب الامور قبل مواردها لم يجزع لحلولها

المتنبي عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا   فلما دهتني لم تزدني بها علما

ارسطو — لحوق البغية صعب واعجز العجز مَن لم يعن عزمهُ في طلب الغاية

المتنبي اذا قل عزمي عن هوى خوف بعدهِ   فما بعد شيءٍ ممكن يجد العزما

ارسطو — لابرح الفضل بترك الذم ثم التناهي في المدح

المتنبي ومني استعار الناس كل غريبة   فجازوا بترك الذم ان لم يكن حمدُ

ارسطو — من قصر عن اخذ لذاتهِ عدمها وعدم صحة جسمهِ

المتنبي دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها   فمفترق جارانِ دارهما العُمرُ

ارسطو — من لم يرفع قدرهُ عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدرهُ عليهِ

المتنبي اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقصٍ   على هيبةٍ فالفضل في من لهُ الشكرُ

ارسطو — من افنى مدتهُ في جمع المال خوف العُدْم (الفقر) فقد اسلم نفسهُ الى العُدْم

المتنبي ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ   مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ارسطو — الذي لا يعلم بعلتهِ لا يصل الى برئهِ

المتنبي ومن جاهل بي وهو يجهل جهلهُ   ويجهلُ علمي انهُ بيَ جاهلُ

ارسطو — حلول الفناء في عظيم الامور كحلولهِ في صغيرها

المتنبي فطعم الموت في امرٍ حقيرٍ   كطعم الموت في امرٍ عظيمِ

ارسطو — قبيح بذي الجودة ان يفارقهُ الجود لانهما اذا اعتدلا كانا كشيءٍ واحد ويحق بهما اسمان

المتنبي والغنى في يد اللئيم قبيح   قدر قبح الكريم في الاملاقِ

ارسطو — العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمهِ بزوالها والجاهل يظن انها باقية وهو باقٍ فذاك يشقى بعقلهِ وهذا ينعم بجهلهِ

المتنبي ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ   واخو الجهالة بالشقاوة ينعمُ

ارسطو — بالصبر على مضض الرئاسة تنال شرف النفاسة

المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

ارسطو — ان الحكيم تريهِ الحكمة ان فوق علمهِ علماً فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن انهُ قد تناهى فيسقط بجهلهِ وتمقتهُ النفوس

المتنبي وما التيه طبي فيهمِ غير انني   بغيضٌ اليَّ الجاهل المتعاقلُ

ارسطو — وقد رأى غلاماً حسن الوجه فاستنطقهُ فلم يجد عندهُ علماً فقال نِعْمَ البيت لو كان فيهِ ساكن

المتنبي وما الحسن في وجه الفتى شرفًا لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

ارسطو — اذا تجوهرت النفس الفلسفيَّة لحقت بالعالم العلوي فلا تسكن الى الهمم الترابية

المتنبي ولذيذ الحياة اوقع في النفس واشهى من ان تملَّ واحلى

ارسطو — الكلال والملال يتعاقبان الاجسام لضعف الجسم لا لضعف آلة الحس

المتنبي واذا الشيخ قال افٍ فما ملَّ حياةً ولكن الضعف ملاَّ

ارسطو — الدنيا تطعم اولادها وتأْكل مولودها

المتنبي ابدًا تستردُّ ما تهبُ الدنيا فياليت جودها كان بخلا

ارسطو — اذا كانت الاشياء فاعلة بالطبع لم تحمد على فعلها لان الشمس لا تحمد على حرارتها ولا على ضوئها

المتنبي رُبَّ امرٍ اتاكَ لا تحمد الفعّا ل فيهِ وتحمد الافعالا

ارسطو — الجبن ذلة كامنة في نفس الجبان فاذا خلا بنفسهِ اظهر شجاعة

المتنبي واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحدهُ والنزالا

ارسطو — الغلبة بطبع الحياة والمسالمة بطبع الموت والنفس لا تحب ان تموت فلذلك تحب اخذ الاشياء بالغلبة

المتنبي من اطاق التماس شيءٍ غلابًا واغتصابًا لم يلتمسهُ سؤَالا

ارسطو — الانسان شبح روحاني ذو عقل غريزي لا ما تراهُ العيون من ظاهر الصورة

المتنبي لولا العقول لكان ادني ضيغمٍ ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

ارسطو — الظلم من طبع النفس انما يصدها عن ذلك خلتان خلة دينيَّة وخلة دنيويَّة خوف الانتقام

المتنبي والظلمُ من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

ارسطو — ثلثة ان لم تظلمهم ظلموك ولدك وعبدك وزوجتك فسبب صلاحهم التعدي عليهم

المتنبي من الحلم ما يستعمل الجهل دونهُ اذا اتسعت في الظلم طرق المظالمِ

ارسطو — كل ما لهُ اول تدعو الضرورة الى ان يكون لهُ آخر

المتنبي انعم ولذّ فللامور اواخرٌ ابدًا اذا كانت لهنَّ اوائلُ

ارسطو — النفوس المجوهرة تشرك الشهوات البهيميَّة طبعاً لا خوفاً

المتنبي وترى الفتوة والابوة والمروة —— عند كل مليحة ضراتها

ارسطو — من اثرى من العدم افتقر من الكرم

المتنبي ورب مثرٍ فقيرٍ من مروَّتهِ لم يثرِ منهُ كما اثرى من العدمِ

ارسطو — اذا لم تتجرد الافعال كان الاحسان اساءة

المتنبي اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

ارسطو — ليس تغير مثل تغير الافعال التي ترد غير مطبوعة فانها اشد انتقالاً من الريح الهبوب

المتنبي واسرع مفعولٍ فعلت تغيراً تكلُّفُ شيءٍ في طباعك ضدُّهُ

ارسطو — اتعب الناس من قصرت مقدرتهُ واتسعت مروءتهُ

المتنبي واتعب خلق الله من زاد همهُ وقصَّر عما تشتهي النفس وجدُهُ

ارسطو — اعظم الناس محنة من قل مالهُ وعظم مجدهُ ولا مال لمن كثر مالهُ وقل مجدهُ

المتنبي فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

ارسطو — من لم يقدر على الفضائل فلتكن فضائلهُ ترك الرذائل

المتنبي انَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسانٌ واجمالُ

ارسطو — تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبلى وهو كل يوم جديد

المتنبي ذكر الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ ما فاتهُ وفضول العيش اشغالُ

ارسطو — اعجز العجز من قدر على ان يزيل العجز عن نفسهِ فلم يفعل

المتنبي ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمامِ

ارسطو — اصطبار العقلاء ضد تمني الجهلاء فالحاجة التي فيها نكر العاقل عليها يحسدهُ الجاهل

المتنبي ماذا لقيتُ من الدنيا واعجبها اني بما انا باكٍ منهُ محسودُ

ارسطو — لا غنى لمن ملكهُ الطمع فاستولت عليهِ الاماني

المتنبي امسيت اروح مثرٍ خازناً ويداً انا الغنيُّ واموالي المواعيدُ

ارسطو — النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدرك النفس في اماكن البقاء فهذه حال يعجز الخلق عن دركها

المتنبي سبحان خالق نفسي كيف لذتها في ما النفوس تراهُ غاية الالمِ

ارسطو — من كان غذاؤهُ الاماني مات دون بلوغ مرادهِ

المتنبي يعللنا هذا الزمان بذي الوعد ويخدع عمّا في يديهِ من النقدِ
ارسطو — اذا كان سقم النفس بالجهل كان الموت شفاءها
المتنبي اذا استشفيت من داءٍ بداءٍ فاقتل ما اعلّك ما شفاكا
ارسطو — كره ما لا بدَّ من كونهِ عجز في صحة العقل
المتنبي نحن بنو الموت فما بالنا نعاف ما لابد من شربهِ
ارسطو — اننا نؤاسي الارواح من كرور الايام فما بالنا نعاف رجوعها الى اماكنها
المتنبي تبخل ايدينا بارواحنا على زمانٍ هنَّ من كسبهِ
ارسطو — اللطائف سماوية والكثائف ارضية وكل عنصر هو عائد الى عنصرهِ الاول
المتنبي فهذه الارواح من جوهرٍ وهذه الاجساد من تربهِ
ارسطو — الزيادة في الحد نقص في المحدود
المتنبي متى ما ازددت بعداً في التناهي فقد وقع انتقاصي بازديادي
ارسطو — بانفاذ سهم الحزم تدرك صحة العزم
المتنبي مع الحزم حتى لو يُعوَّد تركهُ لالحقهُ تضييعهُ الحزم بالحزمِ
ارسطو — اواخر حركات الفلك كاوائلها وانشاء العالم كتلاشيهِ في الحقيقة لا في الحس
المتنبي كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عمرهِ مثل ذاهبِ
ارسطو — اعظم ما على النفوس عظام ذوي الدناءة
المتنبي فاني رأيت الضر احسن منظراً واهون من مرءٍ صغير بهِ كبرُ
ارسطو — عدم الغنى من النفس اشد من عدم الغنى من اليد والملك
المتنبي غثاثة عيشي ان تغث كرامتي وليس بغثٍّ ان تغث المآكلُ
ارسطو — الحيوان كلهُ معتلٌّ وليس من السياسة شكوى بعض الى بعض
المتنبي ولا تشكُ الى خلقٍ فتشمتهُ شكوى الجريح الى الغربان والرخمِ
ارسطو — النظر في عواقب الاشياء يزيد في حقائقها والعشق عمى الحس عن درك الروية
المتنبي لو فكَّر العاشقُ في منتهى حسن الذي يَسبيهِ لم يسبهِ
ارسطو — اخر افراط التوقي اول موارد الحزن
المتنبي وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ

الزاجل ومزاجلهُ

عرف القدماء ان بعض انواع الطيور لو نُقلت من مكانها ترجع اليهِ ولو بعد حين ولذلك استخدموها في إنفاذ الرسائل ايام لا اسلاك برقية ولا سفن تجارية ولا سكك حديديَّة . وما الغرض هنا الالمام بحال حمام الزاجل واقوال الناس فيهِ فان انواعهُ كثيرة جدًّا تحتاج الى مجلّد لتوفى حقها من الشرح . وقد سبق لهذه المجلة ان اشبعتهُ وصفًا في احدى سنيها الماضية وانما القصد ان المع الى حمام الزاجل ومزاجلهِ في العالم عامة وفي بلادنا خاصَّة . اذكرني بهذا الموضوع ما قرأتهُ منذ امد في احدى الصحف العلميَّة الباريسية من رسالة في الزاجل للمسيو هنري دى پادڤيل من اهل العلم الطبيعي قال :

لم تُعرف حتى الآن الخاصية العجيبة التي امتاز بها حمام الزاجل لتعرُّف خوافق السماء والاهتداء الى مزاجلهِ على بعد مئات من الاميال . وقرَّ رأي علماء منافع الاعضاء على ان لهذه الطيور حاسَّة خاصة في رواحها ومغداها . وتجادلوا في حاسَّة الاهتداء حتى اثبت كل من المسيو بونيه والمسيو سيون أن للحمام حاسة خاصَّة يستطيع بها الاهتداء في عنان الفضاء. وعلى هذا تكون الطيور وغيرها من انواع الحيوان مفضَّلة على ابن آدم من هذا الوجه وان لم يثبت ذلك في الحقيقة . قال وقد اهدى رجل في باريس الى صديق لهُ مولع بتربية الحمام في احدى مقاطعات فرنسا واسمها بيريكورد وهي على مسافة ٣٦٠ كيلومترًا او ٩٠ فرسخًا من باريس حمامتين غير مدربتين ارسلهما لهُ في القطار فكان منهُ ان حبسهما في قنٍ فلم ترقهما العيشة وطارا من مزجلهما تاركين فراخهما بعد شهر حتى وصلت احداهما الى باريس بعد يومين وثانيتهما بعد ثلاثة . وبعد ان اورد ما يشابه هذه القصة قال : ومع ما لنا نحن البشر من الحواس اي اخرس كان يتأتى لهُ الخلاص من هذه الورطة كما تتخلص اقل حمامة نعم ان الحمامتين السالفتين قضتا اكثر من ٤٨ ساعة للرجوع الى مقرهما الاصلي على حين يجتاز المدرَّب هذه المسافة في خمس ساعات . وكيفما كان الحال فان اثبتنا حاسة الاهتداء او الغيناها فانها تعدُّ في الزاجل من خوارق العادات

وقد تكلم الدميريُّ في حياة الحيوان على هذا الحمام وانواعهِ فقال : ومن طبعهِ ان يطلب وكرهُ ولو أُرسل من الف فرسخ ويحمل الاخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة ومنهُ ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنهِ عشر حجج فاكثر ثم هو على ثبات عقلهِ وقوة حفظهِ ونزوعهِ الى وطنهِ حتى يجد فرصة فيطير اليهِ

وبهذا عُرف ان علماء الحيوان من العرب عرفوا شيئًا حقيقيًا ممَّا عرفهُ المتأَخرون عن الزاجل. وقد اجمع كثير من المؤرخين على ان العرب كانوا اول من استخدم الزاجل في الرسائل في القرن الثاني للهجرة. والزاجل من الاكتشافات الشرقية عُرف في ديارنا منذ نحو الفي سنة ولذا ورد ذكرهُ كثيرًا في الشعر الفارسي والتركي والعربي لانهُ يجعل المسافة بين المحبوب وحبيبهِ الشريد اقرب من حبل الوريد. واستفاض ذكرهُ في اشعار الفرس لما انهم اقدم في الحضارة من العرب وهؤُلاء عنهم اخذوا وبمذاهبهم في العمران اقتدوا حتى ان مزاجلهُ لم تبرح لعهدنا ماثلة للعيان في ايران وافغان

ورأَى صاحب التعريف ان الزاجل نشأَ من بلد الموصل وحافظ عليهِ الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى افردوا لهُ ديوانًا وجرائد بانساب الحمام. وللفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك كتاب سماهُ تمائم الحمائم. فاما اول من نقلهُ من الموصل فهو الشهيد نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٥. وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٧ ان في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلادهِ. وسبب ذلك انهُ اتسعت بلادهُ وطالت مملكتهُ وعرضت اكنافها وتباعدت اوائلها عن اواخرها (كانت من حدّ النوبة الى بلاد همدان) ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصنًا من الثغور فالى ان يصل الخبر يكونون قد بلغوا غرضهم منهُ فحينئذٍ امر بالحمام ليصل الخبر اليهِ في يومهِ واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين. فقد كانت الاخبار تأْتيهِ لوقتها لانهُ كان لهُ في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأَوا او سمعوا امرًا كتبوهُ لوقتهِ وعلقوهُ على الطائر وسرَّحوهُ الى المدينة التي هو منها في ساعة فتنتقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار اليهِ فحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا ثغرًا لهُ فاتاهُ الخبر ليومهِ فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعد نور الدين عنهم

وقال العماد الكاتب وكان نور الدين لا يقيم في المدينة ايام الربيع والصيف محافظة على الثغر وصونًا من الحيف ليحمي البلاد من العدو بالسيف وهو متشوّف الى اخبار مصر واحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقيق اعتلالها فرأَى اتخاذ الحمام المناسيب وتدريجها على الطيران لتحمل اليهِ الكتب باخبار البلدان وتقدَّم اليَّ بكتب منشور لاربابها وإِعزاز اصحابها وهو حينئذٍ بظاهر

دمشق مخيم بوادي اللوّان فقلت في الحمام : هي برائد الانباء المخصوصات بفضيلة الالهام والايجاد وهي فيوج الرسائل المأمونة الابطاء والسابقات الهوج في الاهتداء والحاملات ملطفات الاسرار في اقرب مدة الى ابعد غاية والموصلات مهمات الاخبار في وقتها من اقاصي الامصار باكمل هداية والقاطعات في ساعتها الى البلاد اجواز الفضاء والموامي والنافذات بنجح المرام بعود السهام الى المرامي وهي تطوي الفراسخ البعيدة والاشواط في ساعة وتنتهي الى اقصى غايات الطاعة باتم استطاعة وقد عمَّ بها نفع المرابطين والغزاة والمجاهدين في سبيل الله في اهداء اخبار الكفرة اليهم من اماكنها دالة على مكايدها ومكامنها طائرة بكتبهم الى مَن وراءهم من الطلائع والسرايا مظهرة لهم من احوالها خبايا الامور الخفايا وانها لميمونة المطار مأمونة العثار سالمة من الاخطار مهدية في الاسفار امينة على الاسرار سابقة الى الاوكار صادرة بالاوطار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنبإ الكفّار

ونقل صاحب الروضتين ان القاضي الفاضل وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر فقال "الطيور ملائكة الملوك" يشير ان نزولها على الملوك من جوّ الهواء نزول الملائكة على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانة لا يتوهم من جهتها خيانة . وقال العماد ايضاً في حوادث سنة ٥٨٦ عند حصار صلاح الدين عكاء لما انقطع اخبار البلد عنهُ انتدب العوام للسباحة حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتباً وطيوراً و يعودون بكتب وطيور نكتب اليهم ويكتبون الينا على اجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها. وكان في العسكر من اتخذ حماماً يطوف على خيمتهِ ونزل في منزلتهِ وعمل بها برجاً من خشب وهوادي من قصب ويدرّجها على الطيران من بعد. وكنا نقول ما لهذا الولع بما لا ينفع حتى جاءَت نوبة عكاء فنفعت واتت بالكتب سارحة شارحة وكنا نطلبها مع الليل والنهار حتى قلَّ وجودها لكثرة الارسال . قلت وقد غالوا لذاك العهد في الزاجل حتى روى بعض الكتّاب من الفرنجة ان زوجهُ كان يباع بنحو الف ذهب نمساوي

وكان لحمام الزاجل مزاجل لتدريجهِ في مصر والشام قال الشهاب العمري من علماء القرن الثامن للهجرة واعلم ان الحمام بمصر انقطع تدريجهُ بالوجه القبلي وقد كان متصلاً الى قوص واصوان وعيذاب ولم يبقَ الآن منهُ الاَّ ما هو من القاهرة الى الاسكندرية ومن القاهرة الى دمياط ومن القاهرة الى السويس ومن القاهرة الى بلبيس متصلا بالشام ومن بلبيس ايضاً الى الصالحية ومن الصالحية الى قطيا ومن قطيا الى الواردة ومن الواردة الى غزة ومن غزة الى بلد الخليل عليهِ السلام ومن غزة الى القدس الشريف ومن غزة الى نابلس ومن غزة الى لدّ ومن

لدّ الى قاقون ومن قاقون الى جينين ومن جينين الى صفد ومن جينين الى بيسان ومن بيسان الى اربد ومن اربد الى طفس ومن طفس الى الصنمين ومن الصنمين الى دمشق ومن كل واحدة من هذه المراكز الى ما جاورها من المشاهير كمن بيسان الى اذرعات ومن طفس اليها لاشعار والي الولاة. ثم من دمشق يسرح الحمام الى بعلبك ويسرح الى قارا ويسرح الى القريتين ثم من قارا الى حمص ومنها الى حماة ومنها الى المعرّة ومنها الى حلب ومنها الى البيرة والى قلعة المسلمين والى بهنسى ومنها الى الرحبة وقد تعطل الآن (في القرن الثامن) تدريج السخنة الى قباقب وانما صار يسوق بطائق تدمر الواقعة بالسخنة منها الى قباقب ثم يسرح على الجناح من قباقب الى الرحبة وبهذا تم ذكر مراكز الحمام في سائر الممالك الاسلامية . وفي ترجمة الظاهر بيبرس انهُ زاد الابرجة مكان المحدثة وعمل بها الخفراء وبنى من القصير الى المناخ الى قار الى حمص اعمدة وابرجة فيها الحمام والخفراء وكذلك من دمشق الى تدمر والرحبة الى الفرات

وتباينت الآراء في تاريخ استعمال الزاجل وجمهور المؤرخين وعلماء الحيوان على انهُ يُرَدّ الى نحو الفي سنة فقد كان بحّارة مصر وقبرص يتناقلون اخبارهم على جناح الزاجل ويبعثون بها الى البر وكذلك المصارعون في الالعاب الاولمبية. وكان استعمالهُ شائعًا عند الرومانيين حتى ان القائد مايور المشهور كان يرسل اخبارهُ الى اصحابهِ بواسطتهِ لما كان محصورًا في موتينا احدى مدن ايطاليا سنة ٤٤ ق . م . ومن رأي دائرة المعارف الاميركية انهُ لا يعرف اول مستخدم لهُ ويقول السير جون مانديفل ان الرومان استعملوهُ كما استعملهُ اهالي آسيا واستخدم ايضًا ايام سانت لويس اي في خلال الحروب الصليبيَّة فاستخدمهُ تاسوا في حصار بيت المقدس

وأكّد بعض المولعين بتدريجهِ من الافرنج ان العرب كانوا يتخابرون بالزاجل في جزيرتهم فلما استولوا على الاندلس نقلوا اليها كيفية استخدامهِ على النحو الذي كانوا يستعملونهُ في بلادهم الاصلية وادخلوا الى الاندلس نوعًا من الزاجل غاية في القوة فزاوجهُ الاسبان مع حمام الفلمنك عند ما استولوا عليها ومع ان الزاجل غير مرتقية احوالهُ الآن في اسبانيا تراهُ ارقى ممَّا هو عليهِ في الشرق . وروى بعضهم ان استعمالهُ شاع في اوربا في القرون الوسطى خصوصًا في البلجيك والفلمنك حتى كان المحصورون في هارلم سنة ١٥٧٣ والمحصورون في ليدن سنة ١٥٧٤ يتخابرون بواسطة الزاجل في حرب الفلمنك المشهورة

وجاء في دائرة معارف ريس المطبوعة سنة ١٨١٩ " ان بعض سفراء المسلمين لما جاؤوا الى جود فري ايام الحروب الصليبية استصحبوا معهم حمام الزاجل فلما قضيت مصالحهم ارسلوا رسائل من الزاجل الى رفاقهم يعلمونهم بذلك . وبرهن بوكارت على قِدَم استعمال الزاجل

في سوريَّة وبلاد اليونان بعدة حوادث . فان هيرتيوس وبروتوس تخابرا بالزاجل اثناء حصار مودنا . ومنذ اربعين او خمسين سنة بطل استعمال الزاجل بين الاسكندرونة وحلب لان بعض لصوص الاكراد اطالوا يد التعدي عليها وقتلوا اكثرها " . وذكر بعض المؤرخين ان الدولة العثمانية ابطلت استعمال الزاجل في اواخر القرن الحادي عشر بعد ان لبث زمناً مستعملاً في بلادها . ونشرت الجرائد التركية منذ نحو ثلاث سنين صورة ارادة سنية قاضية باستخدامهِ لنقل الاخبار في المعسكرات السلطانية فبني لهُ برج في جتالجة من ضواحي الاستانة

وذكرت موسوعات ريس ان الشركة الانكليزية الهندية استخدمت الزاجل فكانت عند رسو سفنها في ثغر الاسكندرونة تبعث بالرسائل مع الزاجل الى الدواخل لاعلام الاهالي بوصولها وكانت الرسالة توضع تحت جناح الطير وكانت رجلاهُ تغطسان بخل ليبقى منتعشاً فلا يسفُّ الى المياه ليَعُبَّ اذا رآها في طريقهِ وكان يقطع المسافة بين حلب والاسكندرونة في اقل من ساعتين ونصف — كما ان حماماً من الزاجل يقدر ان يحمل رسالة من بابل الى حلب ويقطع المسافة وهي للمسافر ثلاثون يوماً في اقلّ من ٤٨ ساعة — وكان اذا أُخذ من حلب الى الثغر يوضع في قفص مكشوف مدة الطريق ومتى وصل الى الثغر وتُرك منهُ يرجع حالاً الى عشهِ ومتى أُفلت كان يصعد في الجو حتى يشرف على حلب فيرفرف على بيتهِ وينزل كالسهم

وفي الموسوعات الاميركية ان العثمانيين ابرع الناس في تربية الزاجل وطريقة تعليمهِ عندهم هي ان مربي هذا الحمام يضع الفراخ التي صارت قادرة على الطيران في زنبيل ويأخذهُ الى مسافة نصف ميل ثم يطيّر منها الفراخ فالذي يؤوب الى عشهِ يصلح فيما بعد للزجل فيأخذهُ مسافة ابعد من الاولى ويفعل معهُ فعلهُ الاول وهكذا تدريجاً حتى تصبح المسافة التي يقطعها مئة ميل او اكثر ويصبح بعد ذلك قادرًا على الرجوع ولو من اقصى اطراف المملكة

وقبل ان يزجلوهُ في انكلترا يضعونهُ في محل مظلم قدر ست ساعات ويطعمونهُ ويسقونهُ في غضون ذلك حتى يمتلئ . ويظهر من الاشعار الانكليزيَّة القديمة واشعار توسو ان الرسالة كانت تعلق بجناح الحمام او بعنقهِ والطريقة المستعملة الآن هي ان تلفّ الرسالة على القسم الاعلى من الرجل وهي اصلح من الطريقة الاولى لانها لا تعوق الطير في طيرانهِ

وفي الموسوعات البريطانيَّة ان طريقة كتابة الرسالة الزاجليَّة هي ان تؤخذ صورتها الاصليَّة بالتصوير الشمسي مصغرة على ورق دقيق للغاية . وكانت هذه الطريقة هي المعوّل عليها اولاً ثم لما تحسنت هذه الصناعة صارت صورة الرسالة الاصليَّة تطبع بحرف اعتيادي اولاً ثم تنقل صورتها الى غشاء معمول من الكلوديون بالطريقة المعروفة بالتصوير المصغَّر ويبلغ طول الغشاء

قيراطين وعرضهُ قيراطاً وهو خفيف جدًّا حتى ان ٥٠٠٠ رسالة لا يبلغ ثقلها غراماً واحداً تحملها حمامة واحدة. ولكي تحفظ تلك الاغشية من العاهات كانت توضع في ريشة وتناط هذه بريش الذنب . ومتى وصل الحمام الى باريس كانت تؤْخذ منهُ تلك الاغشية وتمدَّد ثم تعكس صورة الكتابة فيها على ستار مكبرةً بواسطة المصباح الكهربائي فتنسخ صورة الرسائل وتؤَدى الى اصحابها ولكن بعد ذلك استعمل ورق التصوير الحسَّاس عوضاً عن الستار فصارت الرسائل تُطبع عليهِ رأساً . اه

قيل ان الزجَّال يُطيّر في البر والبحر والغالب انهُ لم يثبت فائدتهُ في البحر . وقد ابتُذل استخدامهُ في اوربا ايام حرب السبعين بين المانيا وفرنسا فان هذه استخدمتهُ في حصونها فكان ينقل الاخبار منها الى باريس المحاصرة لان ادارة بريد باريس لاقت من المصاعب الجمة في إرسال الكتب ما لم تلاقهِ ادارة من قبل في العالم وابرزت بتأسيس ادارة بريد من الزاجل من النجاح ما خلَّد لها ذكرًا بين العالمين . ولم يعقد الصلح بين تينك الامتين حتى مهر الفرنسيس في ارسال الزاجل فقد وصلت حمامة منهُ الى باريس حاملة في رأسها اربعة آلاف رسالة ممَّا عجب لهُ الاوربيون واهاب بالمانيا فاستخدمتهُ في حصونها وقلاعها وتخومها وسواحل البلطيك وهي تعدهُ من جملة المواد الحربية التي لا غنية عنها للجيش . وان وزراء الالمان ليُعنون بتربيتهِ جريًا على ما يقتضيهِ منهم امبراطورهم لما انهُ يشجعهم على تربيتهِ ويكافئ من يحسنها بالوسامات الذهبيَّة وشارات التجلة والاكرام . وفي ميزانية المانيا نحو مئة الف فرنك مخصصة للزاجل ولهُ مجلة تنشر اخبارهُ عندهم. وشاع استعمالهُ منذ نحو ثلاثين سنة في ايطاليا والبرتغال وروسيا وانكلترا وسويسرا والدانيمرك والنمسا والبلجيك والفلمنك وكل دولة تصرف عليهِ جانباً من النفقات

واحسن المدائن التي تلائم طبع الزجَّال مدينة انفرس في البلجيك ولذا فهي اشهر مراكز الزاجل للبريد لعهدنا . وقد كان الزاجل يُطيَّر من لندن الى انفرس في ثلاث ساعات وكذلك من هذه الى باريس ويفوق طير البلجيك ما يربى في غيرها من حيث سرعتهُ وضخامتهُ. ويقطع الزاجل المسافة بين باريس وليون وهي خمسمائة كيلومتر في ثماني ساعات ممَّا لا يتيسر للقطار ذي السير السريع ان يقطعها الاَّ في ١٣ ساعة. ولا يستوي سيرهُ في الجبال والسهول فانهُ قد يقطع في السهل ثلثمائة كيلومتر قبل ان يقطع مئة في غيرها من الحزون والجبال. ولا يصلح للزجل الاَّ واحد من كل ثلاثة زواجل بداعي ما يصيبها من العواصف وبنادق الصيادين ومخالب الجوارح. وما ينفع من الزاجل في الاوقات الممطرة قد لا ينفع في الاوقات المصحية واذا تأخر عن ميعاد وصولهِ لما يسطو عليهِ من الطيور الضارية لا يهلك وحدهُ بل يهلك ما معهُ من اسرار واخبار

وحمام الزاجل أكبر من الحمام الاعتيادي يبلغ طولهُ ٣٧ سنتيمترًا ووزنهُ ليبرة وربع وعضلات صدرهِ قويَّة جدًّا وهو سريع الطيران ومنقارهُ مغشًّى بغشاءٍ جلدي مقبَّب ممتد الى ما فوق الرأس ومتصل بطرفي الفم . وكلما كان هذا الغشاء كبيرًا وكان للطير حلقة متسعة حول عينيهِ لا ريش عليها زاد حسنهُ وارتقت قيمتهُ . واستخدامهُ ضروريٌّ للحصارات ونقل الاسرار عند الخشية من الاغيار والاشرار

واذا شاع استعمال التلغراف بلا سلك فيستغنى عن الزاجل كما انهُ قلَّ استخدامهُ لما ظهرت الاسلاك البرقيَّة وهو لا يزال مع هذا يُستعمل في بعض اقطار الغرب لنقل الاخبار المالية الى اسواقها وتبليغ الاخبار للصحف الخطيرة

محمد كرد علي

ارباب المال والاعمال

المستر لفر صاحب صابون صَنْلَيْت

لما اخترنا سيرة هذا الرجل لنضمها الى سيَر الرجال الذين سميناهم بارباب المال والاعمال خطر لنا ان كثيرين من القرَّاء لا يعدون صانع الصابون اهلاً لان يذكر اسمهُ مع اسماء الرجال العظام الذين تتَّسع بهم ثروة بلادهم وتزيد قوَّتها لانهم لم يروا بين صانعي الصابون رجلاً بلغت ثروتهُ مبلغاً عظيماً لكن ما يتيسَّر في البلدان الكبيرة الواسعة الثروة لا يتيسَّر في الصغيرة الفقيرة . ولو كانت سيرة هذا الرجل مقتصرة على نجاحهِ في صناعتهِ وتجارتهِ ما عنينا بنشرها ولا وجدت لها محلاً في المقتطف ولكننا رأينا فيها مثالاً لما يجب ان يجري عليهِ ارباب الاعمال في معاملة العمال اذا ارادوا ان يضيفوا الى الثروة حسن السمعة والاحدوثة فنشرناها عسى ان يكون في نشرها عبرة للذين يئنُّ عمالهم من شدَّة وطأتهم

المترجَم المستر وليم رسكث لفَر ولد سنة ١٨٥١ وكان ابوهُ تاجرًا يبيع المأكولات فشاركهُ في تجارتهِ الى ان صار عمرهُ ثلاثين سنة ثم استقلَّ وفتح محلاً لبيع البقالة وعكف عليهِ بهمة ونشاط فوسَّع نطاقهُ ووفَّر ارباحهُ وباعهُ بعد خمس سنوات بستين الف جنيه عازماً ان ينقطع لعمل آخر اوفر ربحًا من البقالة وهو عمل الصابون فاشترى مصبنة صغيرة وحاول ان يصنع صابونًا جديدًا يسميهِ اسمًا يسهل دورانهُ على الالسنة ويكون لهُ وقع حسن في الآذان فصنع هذا الصابون بعد تجارب كثيرة ونفقات كبيرة وكتب بضعة اسماء جعل ينظر فيها يومًا بعد آخر الى ان اختار منها اسم صَنْلَيت (اي نور الشمس) وحينئذٍ اقبل بكليتهِ على ما حسبهُ

السبيل الوحيد لنجاحهِ وهو الاعلان عن هذا الصابون في الجرائد والطرق والاماكن العموميَّة لكي يصير اسمهُ مألوفاً عند الجميع ولم يضنَّ بنفقة على الاعلانات حتى انك لا تفتح جريدة انكليزيَّة ولا مجلَّة الاَّ وتجد فيها اعلاناً او اكثر عن هذا الصابون بل تجد الاعلانات عنهُ في شوارع المدن الانكليزيَّة وضواحيها والطرق التي حولها بل في الحقول الزراعيَّة والمزارع وكل مكان يتردَّد اليهِ الناس ولعلَّهُ انفق نصف دخلهِ على الاعلانات

فاتسعت اعمالهُ حالاً وضاقت المصبنة التي اشتراها عن القيام بها فاختار مكاناً آخر بنى فيهِ مصبنة كبيرة جدًّا . وليس عمل الصابون سرًّا غامضاً ولا هو من الصنائع المجهولة التي يستطيع صاحبها ان يربح منها ربحاً غير مألوف ولكن المستر لفر رأَى ابواب الربح واسعة اذا تحكم في جلب المواد التي يصنع الصابون منها وفي الاساليب التي يستفاد بها مما يطرح من المصابن عادةً وفي تقليل النفقات اللازمة لايصال الصابون الى مستعمليهِ فانشأَ المعاصر في اميركا واخذ بزر القطن من مصر ونقل النارجيل من جزائر ساموى الى معاصر سدني باستراليا حيث عصر الزيت منهُ ونقاهُ واتى بهِ الى انكلترا وباع كسبهُ لفلاحي استراليا علفاً لمواشيهم وقلل نفقات العمل والنقل حتى صارت على اقلها

ولما انتشر صابونهُ في اقطار المسكونة ورأَى ان صنعهُ في انكلترا وارسالهُ اليها يزيدان النفقة ويقللان الربح انشأَ المصابن الكبيرة في بوستن وفيلادلفيا ليباع صابونها في الولايات المتحدة. وفي مدينة تورنتو ليباع صابونها في كندا. وفي مدينة سدني ليباع صابونها في استراليا. وفي اولتن ليباع صابونها في سويسرا . وفي منهم ليباع صابونها في المانيا . وفي بركسل ليباع صابونها في البلجيك. فزالت بذلك نفقات النقل الى هذه البلدان ومكوس الجمارك. واضاف الى هذه المصابن معامل تعمل كل ما يلزم لها ويتعلَّق بها من عمل العلب والصناديق والورق والكتب وما اشبه واوصلها بسكك الحديد العمومية بخطوط خاصَّة بها وبنى لها سفناً لنقل صابونها بحرًا

وأَلف شركة لهذه المصابن سنة ١٨٩٤ جعل رأس مالها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات وبلغ ربحها تلك السنة عشرة في المئة ثم زاد رأس مالها سنة ١٩٠٠ فجعلهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات وبلغ ربحها حينئذٍ خمسة عشر في المئة . وعدد العمال في القسم الذي في بلاد الانكليز وحدها ٣٢٠٠ عامل

ونجاح المرء في عملهِ دليل على مقدرتهِ ولكنهُ قد لا يكون دليلاً على استقامتهِ وكرم اخلاقهِ. فكم من رجل اثرى من دماء غيرهِ وكم من مثرٍ لا يجود بدرهم على ابناء نوعهِ امَّا المترجَم فلمَّا رأَى ثروتهُ تزداد يوماً فيوماً وان دخلهُ في السنة بلغ خمسين الف جنيه بعد ان انشأَ المصابن

بسنتين او ثلاث اضطربت افكارهُ وحسب انهُ لا يستحق هذا الربح كلهُ فعزم ان يعطي العمَّال جانبًا من ربحهِ ليس دراهم تزيدهم اسرافًا بل راحة من عناء الاعمال فقلل ساعات عملهم من تسع ساعات في اليوم الى ثمان وبنى لهم منازل صحيَّة انفق عليها ٣٥٠ الف جنيه لكي يتمتعوا بالصحَّة والراحة . وجعل يعطيهم اجازات كل سنة يقضونها في النزهة هم ونساؤهم واولادهم وبعث برؤسائهم الى معرض غلاسكو فاقاموا فيهِ اسبوعًا على نفقتهِ . وبعث الفًا وستمئة منهم الى معرض باريس انفق عليهم خمسة آلاف جنيه فاقتضى نقلهم اليها اربعة قطرات مخصوصة ومئتي قنطار مصري من الزاد في اثناء الطريق ومئتي مركبة ركبوا فيها في باريز

والبلد الذي بناهُ لهم استكمل فيهِ شرائط الصحة والراحة فالبيوت مبنيَّة على الاسلوب الانكليزي يحيط بكل بيت منها حديقة صغيرة والشوارع تامَّة النظافة والتنظيم والاشجار مغروسة على جانبيها وهو يعطي الجوائز للذي يعتني بحديقتهِ اكثر من غيرهِ

والمنازل مختلفة الاقدار في الصغير منها مطبخ وغرفتان للمنامة ومكان للمؤونة ومكان للجلوس. وفي البلد مدرسة وكنيسة ونادٍ للمجتمعات الادبيَّة ودار للموسيقى ومكتب للبريد . والتعليم مباح للجميع حتى للكبار وعندهم جمعيات علميَّة وزراعيَّة وفوتوغرافية ومنتدى للمذاكرات والمباحثات الادبيَّة ولتمثيل بعض الروايات وساحات للالعاب الرياضيَّة على انواعها ويقال جملة ان عند اهالي هذا البلد كل ما يثقف عقولهم ويقوي ابدانهم ويزيل السآمة من نفوسهم . وقد جادت صحتهم بسبب ذلك فبلغت وفياتهم في العام الماضي عشرة في المئة فقط والمتوسط في البلاد الانكليزية عشرون في المئة او اكثر . وزادت مواليدهم زيادة بالغة جدًّا فبلغت ٥٦ في الالف

ويظهر الرجل صاحب هذه المبرات من مبراتهِ ويقال انهُ لا يسرُّ ما لم يرَ السرور شاملاً كل الذين حولهُ وهو ربعة بين الرجال قوي البنية طلق المحيَّا حازم الى الغاية القصوى يمتاز باقدامهِ على عظام الامور وسرعة ادراكهِ لفائدة المشروعات التي تعرض عليهِ . بعيد النظر في العواقب سريع الحكم في الامور اذا اخذ في امر لم يثنهِ عنهُ شيءٌ. يكتشف الشبَّان الذين يرجى نجاحهم ويعتمد عليهم ويكل اليهم ما يحسب انهم يفلحون فيهِ وهو مع ذلك متَّضع لا يحسب لهُ فضلاً في شيءٍ من اعمالهِ بل يعد نفسهُ ساعيًا لعمل ما يجب عليهِ . وقد طاف حول المسكونة مرارًا كثيرة زار فيها معاملهُ المختلفة المنتشرة في كل الاقطار

وهو من المولعين بالبناء والفنون الجميلة على انواعها وعندهُ مجموع كبير من الصور الثمينة

المستر باركس

ان طلاَّب العلوم الطبيعية ولا سيما علم الفلك يعرفون اسم باركس من نظارتهِ العظيمة التي لا تزال اعظم ما صُنع من نوعها حتى الآن ولا اعظم منها الاَّ نظارة معرض باريس. وقد يظن بعضهم انهُ عالم من علماء الفلك او امير من الامراء يجود بالمال لتخليد الذكر ولا يخطر ببالهم انهُ عصامي من اولاد اميركا الذين اثروا بجدهم واجتهادهم ثم استخدموا ثروتهم لتخليد ذكرهم

ابتدأ هذا الرجل في العمل وهو ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة فانهُ كان يتردَّد على سوق تقام في مدينة فيلادلفيا يوم السبت من كل اسبوع وتباع فيها البضائع بالمزاد وكان يسرُّ بذلك ويتمنى ان يكون في عداد البائعين والشارين

وذات يوم مرَّ بهذه السوق فرأَى فيها صناديق فيها نوع من الصابون كان يشتري منهُ لامهِ فذهب الى البدَّال (البقَّال) الذي كان يشتري الصابون منهُ وسأَلهُ كم ثمن الرطل من هذا الصابون فقال لهُ اثنا عشر سنتاً (اي غرشان ونصف) فقال وبكم تشتريهِ انت فقال اني اشتريهِ بتسعة سنتات فقال اتشتريهِ بهذا الثمن مهما كان مقدارهُ فقال نعم . وكان معهُ دُرَيْهمات جمعها بالتقتير مما تعطيهِ اياهُ امهُ فعاد الى السوق وانتظر الى ان عرض الدلاَّل الصابون فدفع في الرطل ستة سنتات ولما سمع الحضور صوتهُ دُهِشوا والتفتوا ليروا مَن هذا الولد الذي يناظر كبار التجار . فرسا مزاد الصندوق الاول عليهِ وكذلك الصندوق الثاني والثالث الى خمسة عشر صندوقاً ثم خفض السعر قليلاً وجعلهُ خمسة سنتات ونصفاً فرسا عليهِ مزاد خمسة صناديق اخرى. واسرع الى البدَّال واخبرهُ انهُ احضر لهُ عشرين صندوقاً من الصابون بالسعر الذي قطعهُ معهُ وهو تسعة سنتات الرطل فدهش البدال من ذلك كما دُهِش التجار ودفع اليهِ الثمن فمضى ودفع ثمن الصابون وعاد الى بيتهِ وقد ربح مبلغاً طائلاً

واتمَّ دروسهُ في المدرسة مثل كل ابناء الاميركيين ودخل مخزن تاجر من تجار الدقيق والحنطة كاتباً بغير اجرة فارضى التاجر باجتهادهِ فاعطاهُ في آخر السنة عشرة جنيهات هبةً وتعلَّم وهو هناك طرق البيع والشراء لكن نفسهُ كانت تسمو بهِ الى اعلى من ذلك فخرج من عند التاجر وفتح محلاً للسمسرة وعمرهُ احدى وعشرون سنة . وكان غاية في الاجتهاد والانتباه ولين العريكة فلم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار كثيرون من الاغنياء من زبائنهِ فجمع شيئاً من الثروة وصار يُعدُّ من "البنكيارية"

وكانت الحرب الاهليَّة ناشبة في اميركا واسعار الاوراق الماليَّة وكل السلَع التجاريَّة تعلو وتهبط بسرعة البرق لغير سبب ظاهر والمضاربات على اشدها فيغتني المرء اليوم ويفتقر غداً ولا

يثبت على الاشغال الاَّ المتبصّر الذي لا يبطر اذا نجح ولا يقنط اذا فشل. ورأَى ان اوراق الحكومة اسلم عاقبة من غيرها فقصر شغلهُ عليها فربح من ذلك ربحًا وافرًا. ورأَى الذين يعاملونهُ فرط ذكائهِ وحذرهِ فاعتمد عليهِ التجّار والمشتغلون بالاوراق المالية ومدُّوهُ بمبالغ طائلة من المال فزادت ارباحهُ كثيرًا واستمرَّ سائرًا في سبل النجاح الى ان احترقت مدينة شيكاغو فخسر بذلك خسارة كبيرة ذهبت بثروتهِ كلها وباموال كثيرة ممَّا استمدَّهُ من غيرهِ فرأَى ان لابدَّ لهُ من اعلان افلاسهِ رسميًّا

وعاد بعد هذه الخسارة اشدَّ حذرًا ممَّا كان اولاً الى ان تبيَّن ان محلاًّ من المحلات التجارية الكبيرة على شفا الافلاس وان افلاسهُ سيحط ثمن الاسهم كثيرًا فباع مقدارًا وافرًا "على المكشوف" منها قبلما اشتهر افلاس هذا المحل وربح بذلك ربحًا كبيرًا فاشترك في سكة فيلادلفيا الحديديَّة وانتقل من الاشتغال بالمضاربات الى الاشتغال بالشركات وادارتها وكانت قيمة السهم من اسهم هذه الشركة ثلاثة جنيهات حينما تولَّى ادارتها فبلغت بحسن ادارتهِ عشرين جنيهًا ولما رأَى ذلك قصر اشتغالهُ على فرع واحد وهو فرع الترامواي وكان ينزل الى مكتبهِ قبل الساعة السادسة صباحًا ولا يخرج منهُ الاَّ وقد مضى جانب كبير من الليل واستمرَّ على ذلك الى ان نشر سكك الترامواي في فيلادلفيا وجمع ثروةً وافرةً

ولما رأَى ان المجال ضاق عليهِ في فلادلفيا قصد مدينة شيكاغو وانشأَ بنكًا فيها واقام خمس سنوات يرقب احوال سككها الى ان تيسَّر لهُ تأليف شركة لانشاء سكك الترام فيها فالَّفها وادارها بمهارة فائقة وهمَّة لا تعرف الملل ووسَّع نطاقها حتى صارت تمتلك خمس مئة ميل من سكك الترام ثم زادها اتساعًا وانشأَ سككًا كثيرة تتصل بالمدينة وسهَّل الانتقال على سكانها فربح اموالاً طائلة وصار من اصحاب الملايين الكثيرة

قلنا انهُ خسر خسارة فاحشة وقتما احترقت شيكاغو ذهبت بها اموالهُ واموال كثيرين من مدائنيهِ فلما اثرى عاد الى فيلادلفيا ودعا اولئك المدائنين الى وليمة فاخرة اعدها لهم وبعد الطعام قدَّم الى كل واحد منهم تحويلاً على البنك بالمال الذي كان لهُ عندهُ مع فائدتهِ القانونية المركبة من حين افلاسهِ الى ذلك اليوم فاوفى كل ما كان عليهِ ورباهُ مع ان قوانين التجارة لا تضطرهُ الى شيءٍ من ذلك فذاعت شهرتهُ في الدنيا كلها ونال بذلك من حسن الاسم والسمعة ما لا يُنال بالمال

اما النظارة المنسوبة اليهِ فبلغت نفقاتها مئة الف جنيه وهي كاسرة قطر بلورتها اربعون عقدةً او اكثر من متر قليلاً وهي مؤلفة من بلورتين ثقلهما معًا اكثر من خمسة قناطير مصرية

وثقلهما مع الطوق الذي يحيط بهما نحو عشرة قناطير وبلغ ثمنهما ثلاثة عشر الف جنيه. وقد وصفنا هذه النظارة غير مرةٍ والذي يعنينا من ذكرها الآن ان رجلاً جمع ثروتهُ بالشركات والمضاربات عرف كيف يكتسب حسن الاحدوثة بايفائهِ اموالاً خسرها في حداثتهِ لا باسراف ولا بخطاءٍ بل بقضاءٍ وقدَر . وعرف ايضاً كيف ينفق على ما يفوق بهِ كل من تقدَّمهُ حتى الممالك الكبيرة لان نظارتهُ لا تزال الكبرى من نوعها حتى الآن

ناموس النشوء في تقدم العمران

(١)

العلم باصولهِ وفروعهِ يشبه صرحاً فخيم البنيان مشيَّدَ الاركان رفيعَ الطباق مديدَ الرواق وُضِع اساسهُ منذ نشأَة الانسان وسيزداد اتساعًا ويعلو شأْنًا مع تقدم العمران . ولكلٍّ من الوف الخلق الذين اشتركوا في اقامة بنائهِ وتوسيع رحابهِ واعلاء قبابهِ فضلٌ يذكر على قدر الذكاء في الوضع والهمَّة في العمل والأَثر في النفع شأْن المهندسين والفعلة والبنائين والمزينين على اختلاف العمل والشرف في الرتب والاقدار . والذين تحق لهم الميزة في الفضل والفخر بين مؤَسسي العلم ورافعي جدرانهِ هم الذين خطّطوا رسومهُ وحدَّدوا طبقاتهِ وفصَّلوا غرفهُ وقسموا ابوابهُ ولكن الشرف الاعلى والقدر الأَغلى لاولئك الذين ادركوا القصدَ في مجموعهِ وعيَّنوا النِّسب والعلائق بين اقسامهِ واكتشفوا وحدة القياس والناموس في نظامهِ

فمهما يكن من هوى النفوس الزكيَّة في الاحاطة بمفردات الحقائق واستجلاء غوامضها من طريق البحث والاستقصاء . ومهما اشتدَّ اعجاب العقل بهمم جمَّاع المعارف وخزنتها وضبَّاط شواردها ومقيّدي اوابدها فان ارتياح الخواطر الى نظم فرائدها في قلادة العلم القانوني اشدُّ وردّ شتات الفروع الى اصول قليلة اوقع في النفس واعلق في الذهن وابقى في خزانة المحفوظ

ولا جرم ان ناموس النشوء العام المحيط بما عُرِف من شرائع الكون يتمشَّى على ارتقاء العلوم ونشئها تدرُّجاً من بسائط اصلية الى مركَّباتٍ فرعيَّة فيتولّد من امهات تلك العلوم انواعٌ وصنوف بارتقاء العمران كما تتولَّد القبائل من الاجداد وتنسل الاباء الاولاد . تنجلي هذه الحقيقة لكلِّ ذي بصيرة من طلبة هذا العصر على الخصوص بعد ان درس العلم المتسلسل فأَيقن ان حلقاتهِ آخذة بعضها برقاب بعض يعزو كلّ مولودٍ منها الى والدهِ ويحفظ لها جمعاء سلسلة الانساب

وفي جملة تلك العلوم الجليلة الغايات الجلية الآثار علم التاريخ اساس علم الاجتماع . كان هذا العلم " وما زال عند سواد الطلاَّب " مقصوراً على تدوين الوقائع وجمع الاخبار جليلها وحقيرها من تقلُّب دُوَل وتبدُّل شؤُون وصعودٍ وهبوط حتى تقلبت فيهِ انظار اهل الفلسفة فانشأُوا منهُ (فلسفة التاريخ) . ثم لما قُيّض لابطال العلم الحديث اكتشاف ناموس النشوء الكوني تبين لهم ان الشرائع التي جرت عليها الاحياء في اطوار نشئها هي نفس السنن العامَّة التي فعلت فعلها في تقدم العمران مما لم يحلم بهِ واضع التاريخ ولا جال في خيال مدوّن الاخبار فكأَنهُ قد تكوَّن لهذا العلم ثلاث دوائر متداخلة . اولها تدوين الوقائع . ثانيها تعليلها الاجتماعي . ثالثها وهو المحيط بهاتين الدائرتين فلسفة نشوئها وارتقائها . ومن وراء هذه كلها دائرة رابعة يقال لها دائرة (ما وراء الطبيعة) عند علماء الدين وهي دائرة المقاصد الالهية السرية التي يديرها مهندس الكون الاعلى علة العلل قطب دائرة الوجود وربُّ الازل

ولذا فقد اصبح الاقتصار في درس التاريخ على درس وقائعهِ واستيعاب اساطيرهِ مجردةً على ارتباطها بذلك الناموس العام من ضرائب المدارس وعبثًا ثقيلاً على الاذهان كما اوضح سبنسر في فلسفة التربية والتهذيب باقطع برهان . بل ان علم العمران نفسهُ اذا حصر نطاقهُ في النظر الى الاسباب الثانويَّة لتقدُّم الامم وانحطاطها من الوجوه الطبيعية والادبيَّة على ما هو معروف في فلسفة التاريخ البسيطة ولم يتجاوز البحث فيهِ الى ناموس الحياة العام بقي ضيق النطاق قريب حدود المجال . نعم لا ينكر ان تمثيل نشأة التمدن القديم والحديث لمرآة النظر بعللهِ العمرانية القريبة من دواعي اللذة والانشراح كما جاء (لاحد خدام الانسانية) في مقالة " نشأة اوربا " الحديثة في مقتطف هذا العام الاَّ ان اظهارها ناشئةً نامية متدرجةً لناموس النشوء كالجسم الحي ادعى الى ارتياح النظر البعيد وارضى لنفس الباحث الدقيق

ولما كان نصيب العربية من هذين العلمين قاصراً في ما نعلم لهذا العهد على اسفار معدودة كتاريخ التمدن الاوربي للفيلسوف كيزو ومقدَّمة ابن خلدون في علم العمران وهما لم تتعدَّ ابحاثهما حدود الاسباب القريبة في تقدم التمدن والعمران لم يكن للمتشوّف الى ما وراء ذلك غنى من الاجنبية يستقي من بحارها ويهتدي بمنارها شأن الشرقيين اليوم في كل العلوم حتى يبلغ الشرق من الارتقاء زمانهُ في نظر الفيلسوف اوحتى يثني الزمان عنانهُ على قول الحالم المتخيّل والمتعلل الاسيف

(٣)

اما غرضنا في هذه المقالة فهو تحصيل ما انتهى اليهِ بحث علماء الاجتماع البشري من اشتراك

علم العمران مع علم الحياة بمبادىء النشوء والارتقاء وادراج العلمين في سلك واحد من اسباب التقدم والنماء لما بينهما من الشبه ونسبة الاتصال مع الفارق الحقيقي معتمدين في تقرير حقائقهِ على عمدة من اكابر علم التاريخ والعمران اهل النشوء الالهي عداة فلسفة الماديين والزخصومهم زحامًا واقطعهم حسامًا في ذلك الميدان

لا يخفى ان مرجع النشوء في الاحياء هو التغيرات الحاصلة لها باختلاف إحوال المحيط الخارجية مع الميل الداخلي فيها الى موافقة تلك الاحوال بحيث تحفظ موازنة التقدم بين الامرين

ولما كانت تلك التغيرات هي محط نظر الباحث لم يكن لهُ بدٌّ من اعتماد الكلي منها واغفال الجزئي ليتسهَّل لهُ استخراج القواعد الكلية شأن تقرير الاحكام الاصلية في كل العلوم . وهذا هو نفس الحكم الذي يجب ان يعتمدهُ علماء الاجتماع بتقرير احكامهِ الكلية اريد بهِ التعويل على التغيرات الكلية الاصلية واطراح الجزئية الفرعية في احداث التاريخ. فاذا نظرنا الى التغيرات الاجتماعية الكلية في مبحثنا هذا رأينا فيها ميلاً كليًّا عامًّا الى التقدم من اسوإِ الحالات الى احسنها اي ان وجهتها التقدم العام ابدًا

فليس المراد ان التاريخ البشري كان شأنهُ التقدم في كلٍّ من جزئيات وقائعهِ في انحاء المعمور وفي جميع الازمان فانك ترى في عصور مختلفة وبلدان متنوعة مظهر التأَخر جليًّا ماثلاً للابصار ولذلك فان كثيرين من علماء القرن الثامن عشر لاغفالهم الشرط الآنف الذكر في تقرير الاحكام الكلية سبق لهم الوهم فقالوا ان مبدأَ التقدُّم ضروريُّ الشمول والاطلاق في كل ادوار التاريخ كما غلب الوهم يومًا على الشهير لامارك في حسبانهِ هذا التقدم ضروريًّا مطلقًا في نشوء العضويَّات. وقد بلغ الخطأُ من بعض مَن لم يروا مهربًا من ثبوت التأَخر في بعض احوال الامم أَن زعموا ان للجنس البشري جدَّين احدهما فُطر فيهِ الميل الى التقدم والآخر طبع على التأَخر . فكان شأْنهم في هذا الاعم شأْن من رأَى الطول في قامات بعض البشر والقصر في غيرهم فحسب النوع الانساني نوعين في البنية الجسديَّة احدهما يميل الى طول القامة والآخر الى قصرها . اوشأْن من قال بقياس التمثيل "الشيخوخة حال طبيعية عامة في الانسان لان فيهِ ميلاً طبيعيًّا اليها" ومنشأُ الخطإِ في ذلك الوهم كلهِ غفلتهم عن هذا الحكم وهو ان للتقدم شروطًا قد لا تتوفَّر في كل ما هو موضوع للتقدم . ولقد فاتهم ان ادراك الشاب طور الشيخوخة وبلوغ الامة درجة التمدن يتوقفان على احوال المحيط الى حدٍّ بعيد

ومحصل ما يقال في باب تغيير الشؤُون الاجتماعية ان التقدم فيها قاعدة كلية وان دخل تحتها شيءٌ من شواذ التأَخر وتخللها حال من احوال السكون وان الارتقاء العمراني على الجملة سنَّة التاريخ

ولذلك فمتى عُرفت شروط التقدُّم عُرفت اسباب التأخُّر على السواء . اي اذا اثبتنا تقدماً لقبيلة من قبائل الارض أبنَّا تأخُّر ما يعاكسهُ في الاحوال الداخليَّة والخارجيَّة بلا اشكال على حدّ ما ثبت في علم العضويَّات نريد بذلك ان ما يُعلل ارتقاء بعض انواعها يعلل تأخر البعض الآخر او وقوفها او انقراضها بفقد اسباب الارتقاء

وعليهِ فقد احسن الفيلسوف كونت بحصرهِ تاريخ الاجتماع في مجرى التمدن مبتدئًا من شواطئ البحر المتوسط الشرقي حتى انتهى ممتدًا الى اوربا وقسم من اميركا كأنهُ يقول ان اسباب التأخر تظهر من اسباب التقدُّم فاختصر الطريق وابدع في التحقيق وان مقياس الارتقاء مقياس الهبوط ابدًا شأن التوازن في كفتي ميزان

الَّا انا قبل الشروع في بيان المطلب الاقصى في هذا البحث اللذيذ لا ندحة لنا عن مرّ النظر على اركان التقدُّم الاجتماعي ومقوماتهِ فنقول

(٣)

ان لهذا التقدم ركنين اوّلين هما القبيل والمحيط . اما محيط القبيل فهو ما احاط باحوالهِ وشؤُونهِ الاجتماعية القريبة والبعيدة ممَّا يؤَثر فيهِ على وجهٍ مَّا حتى يلائمهُ ويرتقي اليهِ . وهنا لا بدَّ لنا من التنبيه على ان ليس المحيط ما اقتصر على اقليم الامة الطبيعي وتربتها وحيوانها ونباتها وموقعها الجغرافي ونسبتها الى سلاسل الجبال وطول ساحلها البحري وما شا كل ذلك بل هو ما شمل ايضاً حالة الامة العقلية والادبية كمبلغ افكارها وعوائدها ومنشإِها وتاريخها وتقاليدها مع علاقتها بمن يجاورها من الامم الداخلية ويخالطها من الخارجية وما يؤَثر فيها من مجموع هذه الاحوال . وعلى ذلك فقد يختلف محيط القبيلة ضيقًا وسعةً مثال الاول محيط قبيلة الاسكيمو فانهُ ضيق الدائرة لانحصارهِ في موقعها الطبيعي في لابرادور وعلاقتها بقبائل قليلة مجاورة لها واختلاطها بعدد يسير من التجار والسيَّاح وشيءٍ زهيد من تقليداتها الموروثة عن اسلافها . وهذا كلُّ ما يؤَثر في احوال هذه القبيلة الضعيفة الحال

ومثال المحيط الثاني مُحيط الولايات المتحدة فانهُ يُحيط بقارة اميركا الشماليَّة ويشمل جميع الامم المعاصرة المخالطة لها من كل ما انتهى اليها من مبلغ التقاليد والعادات والافكار من سياسيَّةٍ وادبية وعلمية ودينية ويشترك فيهِ معها سائر الامم التي ورثت التمدن عن المملكة الرومانية . وامَّا سبب اتساع دائرة المحيط الاجتماعي ووفرة ما يحويهِ من مختلف الامور فسيظهر في ما يلي من البيان

ويحسن بنا في مساق هذا الكلام على تعريف المحيط ان نُشير الى ما عُلق في اذهان بعض

الكتبة من زعمهم ان الاسباب الطبيعية (او بقاع الامم) هي كل المؤثرات الاجتماعية او اقواها

وفي ابطال هذا الزعم قال اهل التحقيق ان ليس لهذا الوهم من علَّة سوى الغفلة عن نسبة علم الاجتماع الى الاصل الذي تفرع هو عنهُ مع الفارق المُضاف اليهِ . فكما ان علم الاخلاق (او النفس) هو فرع من علم الحياة مع زيادة اختصاصهِ بالبحث عن العقل ونسبتهِ الى المحيط كذلك علم الاجتماع فرع عن علم (الاخلاق) مع ما انضاف اليهِ من خاصة البحث عن مجموع العقول ونسبة بعضها الى البعض والى محيطها المشترك ايضاً

وكما ان مساعي علماء الحياة وراء اكتشاف ناموس عام لترقي العضويات ذهبت ضياعاً لانحصارها في نسبة الحي الى محيطهِ الطبيعي فقط ولم يفوزوا بضالتهم المنشودة حتى فطن دارون الى نسب الاحياء بعضها الى بعض كذلك يكون نصيب علماء الاجتماع من القصور والتقصير ما دامت ابحاثهم منحصرةً في نسبة الامة الى موقعها الطبيعي ضاربين الحجاب على نسبها الضرورية الى غيرها من الامم ومؤثراتها الفعلية والادبية

ولا يُنكر انهُ كان لطبيعة الاقليم التأثير البالغ في ادوار التمدن الاولى . فممَّا لا شبهة فيهِ ان التمدن نشأَ اولاً في بقعةٍ لم يكن تحصيل الطعام والمأوى فيها يتطلَّب فرط الجهد وكان حال الطبيعة من الخصب والجدب على اعتدال . فلم يكن منشأُ التمدن في مفاوز سيبيريا الجرداء ولا سهول البرازيل بقاع الخصب والنماء بل كان في مثل ارض مصر وما بين النهرين حيث لا الجدب ينهك قوى الانسان او يلقيهِ في مخالب الجوع ولا فرط الخصب يحملهُ على فتور الهمة والاهمال

ولا نزاعَ ايضاً في ان امة اليونان مثلاً تعزو كثيرًا من قوَّتها المدنية التاريخية الى موطنها على ساحل البحر وان بحر الروم مقدَّس الذكر عند درَّاس التاريخ اذ هو الذي حملت امواجهُ سفن التجارة بين ذهاب واياب فتمكنت اسباب المواصلات واشتدَّت اواخي الاشتراك الاجتماعي بين الامم على حد ما يُشاهد اليوم في شعوب اوروبا الساحليَّة . ولكن مع ذلك كلهِ فلمَّا درج التمدُّن من مهد الطفولة وجعل يرقى في معارج الفتوة والشباب لم يكن لهُ في اشتداد عزيمتهِ غنًى عن اقتباس ما انتهى اليهِ من الاختبار المشترك وما ورثهُ عن سالف الاجيال

ومن جوامع الكلم المأثورة عن الفيلسوف كونت ما جاء لهُ في هذا الباب وهو قولهُ ” ان مملكة الاموات تزداد سطوةً وسيادةً على مملكة الاحياء على تراخي العصور “ وقال العمراني فسك الاميركاني الشهير ” انَّا اذا رمنا استقصاء تمدننا والتحقيق في سلسلة محيطنا العمراني لم نرَ محيدًا عن التقهقر الى حلقات التاريخ المتعلق بنا نحن الاميركان . فهي ترتفع الى نصرة اليونان

على الفرس في واقعة ماراثون وفوز قيصر بأُمة الغول وتأسيس النصرانية وهزيمة اتيلا في كالون ونزول النورمانديين الى انكلترا وحروب الصليبيين واصلاح لوثيروس . . . مع ارتقاء العلم الرياضي منذ زمن ارخميدس الى فاراري الخ الخ . فان كل ذلك كان ولا يزال اكثر تأثيراً في احوالنا الاجتماعية من الجبال الصخرية (غربي اميركا الشمالية)والبحيرات العظمى المشهورة (شمالي الولايات المتحدة في القسم الشرقي منها) وخليج المكسيك "

واذا سألنا سبباً لبقاء امة الاسبان مثلاً الى هذه الساعة امة الخرافة والتعصُّب لم نجد تعرض بلادها الى الزلازل الَّا سبباً زهيداً بالقياس الى كونها ساحة النزاع في امور الدين "

وعلى ذكر امة الاسبان والزلازل يخطر لنا في هذا الشأن حديث جالل يتعلق بتمدن العرب نظنهُ شديد الموقع في اذهان قرَّاء المقتطف الاغرّ من اهل الغيرة على هذه الامة الجليلة الشأن في تاريخ التمدن والعمران

ذلك ان بعض الكتبة الغربيين ذوي المكانة في فلسفة التاريخ اخطأ المرمى في تعليلهِ تمدُّن العرب فقال " ان ما كان للعرب من حال الخشونة والجاهلية المعلومة انما ينسب لوجودهم في بقعةٍ قاحلةٍ من الارض فاورثهم ضعف الحال تلك البداوة وعجف المال ذلك الجهل العريق والجهل ثمر الفقر حيثما كان. ولكنهم (اي العرب) لما فتحوا بلاد فارس في القرن السابع (للميلاد) وتملكوا اسبانيا في الثامن والبنجاب بل معظم بلاد الهند ما كادوا يحطون رحالهم في هذه الممالك الجديدة حتى بدت علائم التبدل والانقلاب في اخلاقهم. فبعد ان كانوا في جزيرة العرب قبائل رحلاً ورعاةً هملاً اشبه بالانعام السائمة يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء ولا يعلمون عن ابواب الرزق سوى شن الغارات اصبحوا في فتوحاتهم وقد وُطِّئت لهم اكناف المجد المدني من فخامة الملك وبهجة الدنيا والبسط في العلم والانفراد بالعز حتى عمروا الامصار على بناء يحير الالباب ويأخذ بالابصار واقاموا المدارس والمساجد وحشدوا اسفار السلف الى مكاتبهم من جميع الاقطار ممَّا تكتحل العين بمشاهدة آثارهِ ولا يمحى ذكر فخارهِ "

ففي الردّ على موضع الاستشهاد بهذا القول لا يحتاج الَّا الى سؤالين . الاول اذا كان العرب انما ادركوا ذاك التمدن بتبديل بقيعهم ببلاد الاندلس وفارس والهند فلمَ لم يتأتَّ ذلك للامة التي غادرت بواديها وحلَّت احسن موقع جغرافيّ وابهى مملكةٍ في الغنى والمجد بل ظلَّت بعد قرونٍ عديدة تدافع غارات التمدن بسلاح الخشونة والجهل ؟ والسؤال الثاني كيف قيِّض للعرب ان تهجر صحاريها وقفارها وتفتح البلاد الواقعة بين جبال البيرينيس ونهر الكنج فهل كان ذلك الانقلاب جيولوجيًّا او نشأ عن تغير في طبيعة الاقاليم والتربة ؟ انَّا لا نحتاج في

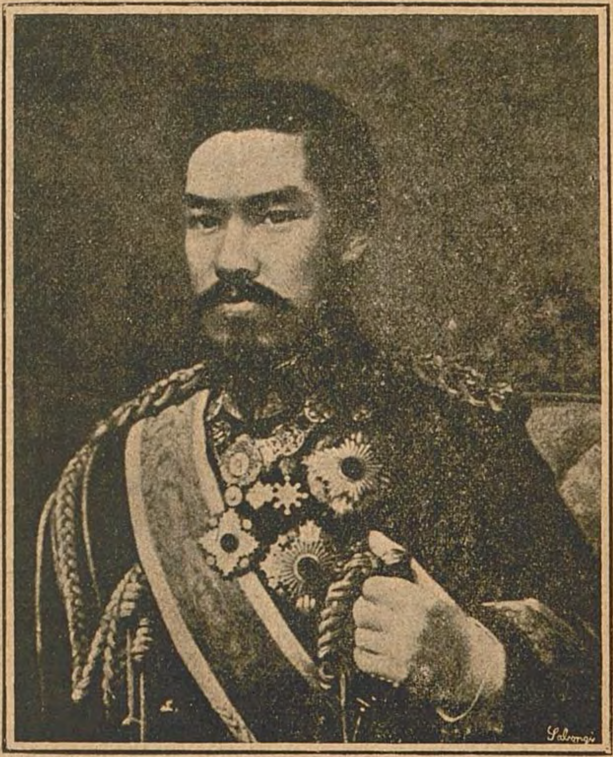

امبراطور اليابان

الجواب على هذين السؤالين الى تعمق في التاريخ فقد يجيب عليهما ابسط طلابهِ وهو انهُ لم يتسنَّ للعرب بلوغ تلك الحال المدنيَّة الاَّ بعد ان تبدلت حالهم الفكريَّة فدخل على نفوسهم آراءٌ جديدة في الحياة والواجبات ومطالب الآخرة بدعوة الاسلام وعلى الجملة فان المؤثر الاخلاقي او النفسي لا الطبيعي هو علة تمدُّن اهل الاسلام

متري قندلفت

نبأ من اليابان

امبراطور اليابان ورجالها

لقد اتَّضح من الفصول السابقة ان ارتقاء اليابان امر حقيقي لا ريب فيهِ وانهُ شامل كل مقوّمات حياتها كافَّة فلاحتها وصناعتها وتجارتها وامارتها حتى صارت تباري الممالك الاوربيَّة في بناء اكبر البواخر كما تباريها في عمل ادق المصنوعات ولم تقتصر على ما كان معروفاً عند اهاليها بل اقتبست احدث الصنائع الاوربية حتى عمل المقاييس الهندسية والآلات الكهربائية وبارت اوربا ايضاً في اتساع تجارتها وفي دستورها ونظام جنديتها وبحريتها

ولا بدَّ من ان يسأل مَن يحبُّ الاطلاع على ما يرفع الامم وما يخفضها وما يقوّيها وما يضعفها عن اسباب هذا النهوض وعلل هذا الارتقاء . وقد اجاب المستر ستد عن ذلك بقولهِ ان السبب الاكبر هو امبراطور اليابان فان لهُ اليد الطولى في ارتقاء بلادهِ ولو لم يكن ذلك ظاهرًا في كل شيءٍ . فان ديانة اليابان توجب على اهاليها الخضوع التام لهُ . ولكلمتهِ شأن عندهم اكثر مما لكل السنن والشرائع وهو فوق كل قانون ودستور ويتَّضح ذلك من المثال التالي وهو انهُ منذ سنتين عُرض على مجلس الاعيان مشروع قانون الضرائب فقاومهُ اربعة اخماس الاعضاء وحينئذٍ وردت رسالة من الملك يقول فيها انهُ يود ان يصادقوا على المشروع فصادقوا عليهِ كلهم بالاجماع

ولا يخفى ان اعطاء الملك سلطة مطلقة الى هذا الحد يضر البلاد ضررًا كبيرًا اذا كان الملك جاهلاً سيءَ السياسة او ظالمًا فاسد الرأي ولكنهُ ينفعها نفعًا عظيمًا اذا كان الملك حكيمًا برًّا برعيتهِ . وامبراطور اليابان من هذا النوع الاخير وهو في مقدمة رجالهِ الساعين في ترقية بلادهم والفضل الاول لهُ في كل ما اصابتهُ البلاد من النجاح

ورهبة هذا الامبراطور متملكة من قلوب شعبهِ حتى لا يجسر احد ان يقف امامهُ ويكلمهُ الاَّ ويتلعثم لسانهُ ما عدا اربعة من رجالهِ مع انهُ لا يعامل احدًا بالقسوة والجبروت

وهو مثل ملوك المشرق قليل الخروج من قصرهِ واذا خرج جلس امامهُ في المركبة واحد من خواصهِ جلس مطرقًا لا يرفع بصرهُ الى مولاهُ

وهذا الاكرام يشمل الملكة فانها تُعَدُّ امًّا لشعبها كما يُعَدُّ زوجها ابًا لهم وشخصها مقدس عندهم فيكرمونها اكرامًا دينيًّا وهي من المولعات بحماية الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير

وولي عهد المملكة شاب عمرهُ ٢٣ سنة فقط لكنهُ متزوج ولهُ ولد وليٌّ لعهدهِ بعدهُ

والملك ورجالهُ يلبسون اللباس الاوربي في كل المقابلات والاحتفالات وهو رئيس الجيش والبحرية وبيدهِ ميزان التوازن بين احزاب المملكة وقواها المختلفة. وفي الدستور الذي سُنَّ سنة ١٨٨٩ سبع عشرة مادة تختص بالملك منها ان شخصهُ مقدَّس وانهُ هو الذي يسن القوانين بمصادقة مجلسهِ وهو الذي يأمر باجرائها وتنفيذها وهو الذي يجمع مجلس النواب ويفتحهُ ويقفلهُ ويحلهُ واذا كان المجلس غير مجتمع ودعت الحال ان اصدر الملك امرًا لا يصير ذلك الامر قانونًا ما لم يجتمع مجلس النواب ومجلس الاعيان ويصادقا عليهِ واذا لم يصادقا عليهِ أُلغي. وللامبراطور ان ينظم فروع الادارة المختلفة وينصب ويعزل ويعيّن الرواتب وفي يدهِ نظام الجنود البرية والبحرية وهو الذي يعلن الحرب ويعقد الصلح ويمنح الرتب والنياشين وبيدهِ العفو وتخفيف العقاب

هذه هي حقوقهُ المكتتبة ولكن حقوقهُ غير المكتتبة اعظم منها وارسخ في النفوس فان كلمة منهُ ترجح على دستور البلاد كلهِ ولاسيما في عيون الشيوخ والكهول من رجالهِ اما الشبان فيودون ان تكون السلطة للدستور لا للامبراطور لكنهم قلما يجاهرون بذلك ولاسبيل لهم للمجاهرة بهِ لانهُ ليس لهم سبيل للشكوى من الحال الحاضرة وما دام الدستور يخول الامبراطور وضع الرجال في مناصبهم فهو لا يضع في المناصب الَّا الذين يثق بهم

اما جمهور الشعب فينظرون الى الملك نظر العابد الى المعبود واكرامهم لهُ نوع من العبادة. وفي العام الماضي طلبت احدى جرائد يابان قتل المركيز ايتو لانهُ تجاسر ان يقابلهُ وهو بالثياب التي لبسها لما حضر جنازة احد اصدقائهِ حاسبة ذلك اهانة للامبراطور لا يكفَّر عنها الَّا بقتل من اجترأ عليها. والتعليم العمومي الجاري الآن في بلاد يابان يرسخ هذا الاعتقاد في اذهان اليابانيين كما ابنَّا في الكلام على التعليم

ويحق لليابانيين ان يفاخروا بامبراطورهم لانهُ ما من امَّة ارتقت في عهد ملك واحد من ملوكها ارتقاء اليابانيين في عهدهِ وما من ملك توفَّق الى خدمة امتهِ اكثر ممَّا توفَّق هذا الامبراطور الى خدمة الامة اليابانية

وهو كهل ولد في ٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ (فهو اصغر من سلطاننا بعشر سنوات) وخلف اباهُ وعمرهُ خمس عشر سنة فقط فلهُ قائم على سرير الملك ٣٥ سنة وتزوج سنة ١٨٦٩ بالاميرة هاروكو فرزق منها ابناً واربع بنات وابنهُ ولي عهدهِ لان ولاية العهد محصورة في الاولاد الذكور والمال المعين للامبراطور ثلثمئة الف جنيه في السنة . ولما عُقد الصلح بين اليابان والصين أُعطي مليوني جنيه من غرامة الحرب اعترافاً بفضلهِ على الامَّة وبما بذلهُ من العناية والتدبير في امر تلك الحرب . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على رجال اليابان الذين ساعدوا امبراطورها في رفع منارها

نصائح لسلامة العيون

الاعتناء بالعيون يبدأُ قبل تكوُّن الجنين ويستغرق كل ادوار الحياة وقد أَعددت عشرين نصيحة لحفظ العيون سليمة اذكرها بحسب الترتيب الموافق للسن الذي ينبغي ملاحظتها فيهِ وهي

(١) للوراثة تأثير عظيم على البصر فيحترس من اقتران المريض بالزهري قبل مضي ثلاث سنوات على زوال العلامات الثانوية كالطفح الجلدي وسقوط شعر الرأس وتقرح الفم والحلق والاغشية المخاطية . وبعد الزواج لا ينقطع المصاب عن استعمال العلاج الموافق اي يوديد البوتاسيوم مدة ٣ سنوات أُخرى والرجوع الى الاستحضارات الزئبقية عند اللزوم . ويحترس ايضاً من زواج المصابين بالسل او الخنازيري لما قد يعتري اولادهم من امراض العين الخطرة ويحترس كذلك من زواج فاقدي البصر منذ الصغر لانهُ قد يولد لهم اولاد عيونهم ضامرة او مصابون بعاهات مختلفة . ومن امراض العين الوراثية قصر البصر او الميوبيا فيراقب اولاد المصابين بهذا الداء مراقبة خصوصية عند دخولهم المدارس ويعطون النظارات الموافقة عند الحاجة اليها بلا ابطاء

(٢) يغسل مهبل الوالدة قبل الوضع بمحلول مطهر فاتر لكي يقل تعرض عيني الجنين للتلوث بالميكروبات المرضية التي قد تلتصق بالغشاء المخاطي وتؤدي الى ظهور رمد المولودين حديثاً

(٣) يقطر في عيني الطفل حال الولادة نقطتان من قطرة مصنوعة باذابة ٣٠ سنتجراماً من نترات الفضة في ٣٠ جراماً من الماء المقطر ومستنبط هذه الطريقة هو الاستاذ كريدي وتعرف باسمهِ وقد قلل بها معدل اصابات رمد المولودين حديثاً من عشرة في المئة الى نصف في المئة

(٤) اذا احمرَّت احدى عيني الطفل او كلتاهما او ظهر عليهما ادنى علامة التهابية

كانتفاخ الجفون في الاسبوعين الاولين من الولادة وجب الاسراع الى استشارة الطبيب المختص بذلك لان اقل اهمال قد يؤدي الى فقد البصر . ولقد احسنت الحكومة الالمانية وحكومة الولايات المتحدة بوضعهما هذه المسؤولية على عاتق القابلة

(٥) رمد المولودين حديثاً والرمد الصديدي الذي يعتري الصغار والكبار شديدا العدوى فمن الواجب فصل المصاب وتفهيم المعتني بهِ وجوب غسل يديهِ كلما لامس المريض بمحلول مطهر قوي وضرورة حرقهِ كل الاشياء التي تتلوث بالافراز الخاص كالقطن والاربطة وما شاكلها

(٦) السيلان من اكثر الامراض العمومية انتشاراً فاذا اصيبت الوالدة بهِ وجب ان تتخذ كل الاحتياطات المذكورة في النصيحة السابقة من غسل اليدين وحرق الانسجة الملوثة لئلا تتصل ميكروباتهُ بعينيها او عيني طفلها فتسبب الرمد الصديدي الشديد الخطر

(٧) تتبع نظافة العينين منذ الولادة وتستمر مدى الحياة ويتم ذلك بغسلهما مرتين في اليوم بالماء النقي المذاب في كل ليتر منهُ ٥٠ جراماً من الحمض البوريك او نصف جرام من الحمض السليسليك او ٢٠ سنتجراماً من السليماني او سينيد الزئبق او خمسة غرامات من ملح الطعام النقي وهذا العلاج الاخير كثير الاستعمال لقلة تهييجهِ العيون وسهولة الحصول عليهِ

(٨) ينبغي ان تكون عيون مرضع الطفل وخادمتهِ ومهذبتهِ خالية من كل مرض معدٍ وقد يستحيل معرفة ذلك بغير استشارة الطبيب فمن الواجب الاعتماد على رأيهِ في هذه الاحوال

(٩) يزاد الاعتناء بنظافة العيون في اثناء ظهور الاسنان

(١٠ لا يهمل التطعيم بالمادة الواقية من الجدري لان الجدري اشد فتكاً بالعيون منهُ بالنفوس وتراقب العيون مراقبة خصوصية اذا أُصيب الطفل بهِ او دهمتهُ الحصبة او الحمى القرمزيَّة لما قد يتأتى عن ذلك من الاضرار الجسيمة

(١١) اكتشفت ميكروبات الانفلونزا والدفثيريا في العين فينبغي ان لا ينسى ذلك اذا اصيب الطفل باحد هذين المرضين

(١٢) يعتنى بانتخاب العاب الاطفال ولا يعطوْا ما يمكن ان يسبب اذى للعين كالاسياخ والبارود وما شاكل ذلك ويقدر عدد الذين فقدوا بصرهم لاهمال والديهم هذه النصيحة بثلاثة في المائة من مجموع العميان

(١٣) تحببات الملتحمة كثيرة الانتشار في القطر المصري وافرازها شديد العدوى وتنتقل الميكروبات الى العيون السليمة بواسطة الايدي والذباب والمناديل وما شاكلها فمن

الواجب عدم قبول التلميذ المصاب بهذا المرض في المدارس قبل ان ينال الشفاء التام. ويشتد فتك هذا الداء في الاماكن الواطئة والكثيرة الغبار ويصيب خصوصاً ذوي المزاج الليمفاوي والخنازيري

(١٤) اذا تشكى التلميذ من تعب في نظرهِ مصاحب بالم في رأسهِ وميل الى تقريب الكتاب من عينيهِ حين المطالعة وجب ان يستشار الطبيب في ذلك ليفحص عينيهِ ويشير عليهِ بالنظارات الموافقة عند وجود داعٍ لذلك

(١٥) الحدادون والبناؤون والصاغة والطحانون والنجارون ونحاتو الحجارة والمعدنون هؤلاء كلهم يشتد تعرض عيونهم للاصابة باجزاء صغيرة مما يشتغلون بهِ فلهذا يستحسن ان يستعملوا نظارات سلكية واقية

(١٦) اذا أُصيبت العين بجسم غريب فلا يقتصر الخطر عليها بل يتخطاها الى شقيقتها ولذلك ينبغي المبادرة الى الطبيب في هذه الاحوال

(١٧) الزهري من اشد الامراض العمومية ضرراً بالعين فينبغي على من أُصيب بهِ الاعتماد على نصيحة طبيب العيون عند ظهور ادنى انزعاج بصري

(١٨) البول السكري والزلالي والامراض العصبيَّة وامراض القلب والاوعية الدموية هذه كلها قد تسبب امراضاً مختلفة في العين فينبغي الاحتراس الشديد ومداركة العلة حين بدئها

(١٩) يزداد طول النظر كلما تقدم المرء في السن ويتسبب ذلك عن ضعف العضلة الهدبية وعدم مقدرتها على القيام بتكييف العين تكييفاً تاماً فمن الواجب والحالة هذه استعمال النظارات المحدبة وتبدل باقوى منها كل سنتين او ثلاث سنوات لتسهيل المطالعة ورؤية الاشياء القريبة بلا اجهاد شديد قد يفضي الى تشنج العضلة المذكورة سابقاً مع ما يأتي عن ذلك من الاضرار

(٢٠) النصيحة الاخيرة استشارة الطبيب عند اقل عارض يعرض على العين لان مداركة كل العلل حين ظهورها خير من الاهمال وانتظار زوالها بلا واسطة . وما يمكن اتمامهُ في يوم في بداية المرض قد لا يتأتى في شهر عند استحكام اذاهُ والوسائط كثيرة للغني والفقير فما من مدينة الّا وفيها مستشفيات واطباء لا يتأخرون عن تقديم النصيحة والعلاج مجاناً للمعوزين

الدكتور
الياس ابرهيم صليبي
طبيب العيون

عروسة النيل

الفصل السادس والاربعون

وبعد الفراغ من المحاكمة عاد ابولون الى المنزل عابس الوجه مقطب الجبين فمرَّ ببيت سوسنة فاذا بجمهورٍ من الناس واقفون امام باب البستان وعلى وجوههم الخوف والاضطراب فسأل احدهم عن علة اجتماعهم هناك في تلك الساعة فأشار هذا الى لوح كبير معلق على السور فقرأ فيهِ "اياكم والدنوَّ من هذا البيت فالوباء يفتك بساكنيهِ" وكان ابولون ضعيف الفؤاد يخاف من الوباء خوفهُ من ملاك الموت فدعا اليهِ احد رجال الحفظ وطلب منهُ الوقوف على تفاصيل الاصابات فقال اصيب امس احد عبيد سوسنة وابنهُ فعزلا ثم اصيبت سيدة المنزل اليوم فضربنا على المنزل ومن فيهِ نطاقاً صحياً فلا يخرج منهُ احد فطار قلب الشيخ شعاعاً وحار في وصول الوباء الى ذلك البيت وهو بمعزلٍ عن الاحياء الموبوءة ولما كان منزل روفينس ملاصقاً لبيت سوسنة خشي ان ينتقل الداء اليهِ فامر الرجل باتخاذ الاحتياط الشديد وبث العيون والارصاد على اهل البيت فلا يخرج منهم احد قال هذا وعاود المسير الى بيت روفينس فصعد توًّا الى غرفتهِ وكان الوقت بعد الزوال وبينما هو يستعد للنزول الى الطبقة السفلى لتناول العشاء دخلت عليهِ جارية تحمل طبقاً عليهِ شيءٌ من الاطعمة فاستغرب ذلك وقال لها علامَ اتيت بالطعام اليَّ فاخبرتهُ ان السيدات يؤثرن تناول الطعام وحدهنَّ اما طعامهُ فيؤتى بهِ الى غرفتهِ. فادرك الغرض المقصود من هذا العمل فاشتد بهِ الغيظ والحنق ونادى عبدهُ فقال شد لي على حماري ثم دار الى الجارية فقال واين سيدتك الآن قالت في الدار وعندها غمالائيل اليهودي فاسرع في النزول فلقي الصيرفي يتأهب للذهاب فعلم انهُ انما جاء لينذر اهل البيت ويحذرهم منهُ فلم يحفل بهِ بل ظل سائراً حتى بلغ غرفة المائدة فابصر هيلانة وماري راكعتين بجانب الارملة والنساء الثلاث يبكينَ فعلم انهنَّ يبكين سوء حظ باولين وانهنَّ يتهمنهُ بالاساءة اليها فعمد الى تبرئة نفسهِ من التهمة وخاطب الارملة فلم تجبهُ ولكنها اومأت بيدها الى الباب فظلَّ الشيخ مكانهُ وهمَّ بالكلام ثانية فقاطعتهُ قائلة حسبك ما قلت يا مولاي فلا شأن لك في هذا البيت بعد اليوم فقد قطعت بيدك ما كان يربطنا من رُبُط الصداقة فعد الى بيتك ولا تعمد الى اساءتنا فحاول الكلام وهو يتميز غيظاً فحولت وجهها عنهُ وامسكت بيدَي الفتاتين قائلة هيَّا بنا يا ابنتيَّ ثم اجتزنَ الباب الى غرفة اخرى واقفلنهُ تاركات ابولون وحدهُ . ولا تسل عمَّا المَّ

بهِ من الغيظ والحقد في تلك الساعة فانهُ لم يلقَ اهانة كهذه في حياتهِ قط فركب حمارهُ وعاد الى منزلهِ وهو يلعن باولين ويتمنَّى لها شرَّ الميتات

وقضى بعد ذلك يومين يطوف في الاسواق والشوارع ومجتمعات الناس غير حافل بالحرّ والتعب وهو يهيج القوم تارة بالتمليق وطورًا بالارهاب مبينًا لهم باجلى بيان ان امرهم في يدهم فاما هلاك اكيد او خلاص عاجل ولم يغفل عن حضور جلسات المجلس والقاء الخطب على اعضائهِ لئلاَّ يرتدوا عن عزمهم وينحازوا الى المطران وكان اذا لقي جمهورًا من العامة يصف لهم بهاء الحفلة ويشوقهم الى رونقها وجمالها ويفصّل لهم ما كان اسلافهُ يفعلون في مواكب ايسس كما رآهُ بنفسهِ وكما نصَّت عليهِ اخبارهم المحفوظة في كتبهم كتب الحكمة والعلم ثم يحضهم على اكمال المعدّات التي تضمن للحفلة زخرفها كل ذلك بالكلام البليغ حتى فتن سامعيهِ وشاقهم وصبوا الى حلول اليوم الذي تتجلى لهم فيهِ صورة من صور مفاخر اسلافهم العظام واصبح القوم وكلهم اطوع لهُ من بنانهِ وجميعهم يلهج بالثناء عليهِ ويرى في الامر رأيهُ حتى اذا ما آنس منهم الميل الشديد اليهِ والرغبة في العمل باشارتهِ صاح بهم خلاصكم وهلاككم في ايديكم فاذا ظلت الحال على هذا المنوال خسرتم حياتكم وحياة من تحبون وذهبت اموالكم طعمة للقحط والوباء واذا قدمتم الضحيَّة ووفى النيل عاودكم الاقبال وجادت مواسمكم وفارقكم الداء فما على المدينة اذا انفقت بضعة آلاف درهم في هذا السبيل . ولم يزل في هذا الكلام ونحوهِ حتى هاج المدينة باسرها فعيَّن المجلس موعدًا قريبًا واختاروا لذلك يومًا من ايام الاعياد لتزداد الحفلة بذلك بهجة وليتفرغ لها جميع من في المدينة

اما المطران فلم يقعدهُ فشلهُ الاول عن السعي لانقاذ الاسيرة فلما خرج من المجلس كما تقدم آنفًا ارسل رسالة الى البطريرك انبأَهُ فيها بما قرَّ عليهِ المجلس واهل منف واستعطفهُ على باولين متوسلاً اليهِ ان ينهى اهل منف عن ارتكاب هذا الوزر العظيم ثم اخذ يطوف في المدينة ويخطب في الناس اينما لقيهم كاشفًا لهم القناع عن شر عملهم وسوء مغبتهِ وفعل كهنتهُ فعلهُ وغاروا غيرتهُ فبذلوا جهد المستطاع لانقاذ تلك التعيسة . لكنَّ النار التي اوقدها ابولون في صدور اهل منف لم تكن ليطفئها وعد الكهنة ووعيدهم بعد ان اضعف الجوع والمرض سلطة الايمان وذهبا بنفوذ الكنيسة فاندلع لهيبها وكأَن ابولون ومريديهِ يصبون عليها زيتًا بما كانوا ينادون بهِ صباحَ مساء

وجاء عبيد ابولون الى بيت روفينس فنقلوا امتعتهُ واوراقهُ وطروسهُ وكان احدهم يحمل رسالة مختومة وقارورة الى الارملة فدفعهما اليها ففضت الرسالة وقرأَت فيها ما يأتي " ليس من

العدل شجب امرءٍ قبل سماع دفاعهِ والتثبت من اقوالهِ امَّا انتِ فقد فعلتِ بي كذلك فظلمتني لكني سكتُ واستسلمتُ الى حكمكِ فاذا عاد فيلبس ففي استطاعتهِ ان يعيد المياه الى مجاريها وهاءنذا مرسل اليكِ الآن شيئًا من الدواء الذي ركبهُ فيلبس لمقاومة الوباء وقد امتحنت فعلهُ في هذين اليومين فتأَكدت عظم فائدتهِ وعسى الداء الذي حلَّ بجيرانك ان يتجاوزكِ واهل بيتكِ". فلما وقفت ماري على فحوى الكتاب صاحت باعلى صوتها اياكِ وتجرع هذا الدواء ففيهِ السمّ الناقع . فابت الارملة تصديق قولها وانحازت اليها هيلانة قائلة حسبنا دليلاً على صدق طويتهِ ما يرتئيهِ فيهِ صديقنا فيلبس ثم جلسنَ يتحدثنَ واذا بالنبطي داخل عليهنَّ فانبأَهنَّ بوصول توما ابي باولين وقال انهُ معها في السجن فسررنَ بهذا النبإِ وتفاءلن بهِ خيرًا وحينئذٍ هبَّت ماري من مكانها فقالت حان لي ان افارقكما فاعدّ دروسي مع المهذبة فامامي عمل شاق يقتضي استعدادًا طويلاً فادعيا لي بالفوز والنجاح ثم اكبَّت عليهما تقبلهما وهما يحسبان انها ذاهبة لاعداد دروسها وانهما يريانها في الصباح ولما فارقتهما صعدت الى غرفتها حيث كانت المهذبة بانتظارها فقصَّت غدائرها والبستها ثياب الصبي وهي تبكي ولما فرغت اخذت تتأَملها معجبة بجمالها ورشاقتها فقالت قد يسهل على الناظر اليكِ تمييزك ولو متنكرة فانتِ اجمل وجهًا وارق بنية من ان تكوني صبيًّا فاذا لقيتِ في الطريق بعض المارَّة فانزلي قبعتك على عينيك فلا يعرفوكِ ولمَّا فرغنا خرجنا سويَّةً من البيت حتى اذا ما مرَّتا بكنيسة يعقوبيَّة طلبت ماري الى المهذبة ان تبقى خارجًا بانتظارها ثم دخلت وجثت على ركبتيها وبعد ان قضت بضع دقائق في الصلاة خرجت من الكنيسة وقد اشتدَّ عزمها وكبرت همتها

ولما بلغتا الفندق وجدتا رستم بانتظارهما وقد اعدَّ الهجن والاتباع فودعت ماري مهذبتها وشكرت لها عنايتها بها وحبها لها فقبَّلتها المهذبة وزودتها بعض النصائح ثم اركب رستم ماري هجينًا وامر من معهُ بالمسير فسار الركب والمهذبة واقفة تنظر اليهم حتى غابوا عن عينيها فدعت للفتاة بالسلامة والنجاح وطلبت الى الله ان يحميها في الاقامة والسفر وان يبلغها منيتها وفي الصباح دفعت كتاب ماري الى الارملة فلما وقفت على ما تضمنهُ استولى عليها القلق والجزع فدعت المهذبة اليها وعنفتها على سكوتها ولامتها على تشجيعها ماري دون ان تطلع اهل البيت على غايتها وبكت بكاءً مرًّا واخذ الحزن من هيلانة كل مأْخذ فأَبت تناول الطعام وصارت تحسب ماري في عداد الاموات . ونحو الظهر جاء المطران يطلب ماري ليرسلها الى احد الاديرة المجاورة فانبئَ بفرارها فاستشاط غيظًا وتهدد الارملة بالقصاص قائلاً سابحث عنها في طول البلاد وعرضها حتى اجدها واردها الى حظيرة الخلاص . وبعد ذهابهِ اعترفت المهذبة بانها زيَّنت

لماري الفرار وجرأتها عليهِ لتخلصها من نير الدير وشقاء عيشة الترهُّب فلما فقهت الارملة قولها طارت فرحًا واكبَّت عليها تقبلها واعتذرت اليها عما فرط منها في الصباح قائلة تجاوزي عما سمعتِ مني فانتِ كريمة الاصل طاهرة القلب رحبة الصدر . فسرَّت المهذبة سرورًا عظيمًا واحسَّت ان سعادة الشباب عاودتها وان شتاء عمرها تحول ربيعًا كربيع تلك الايام اذ كانت واخواتها فتياتٍ في مقتبل العمر تحت سقف ابيها

وعلمت باولين بما دبر لها اهل منف فان المطران اتاها ذات يوم وانبأها بما قرَّ عليهِ المجلس وكان يطلعها على تفاصيل الخبر ملتزمًا الحذر لئلاَّ يفاجئها النبأ فيصيبها ما لا تحمد عقباهُ وحاول ان يسكن مخاوفها بما كان يؤملهُ من ارهاب القوم وزجرهم وصرفهم عن ارتكاب تلك الجريمة فلما تجلت لها الحقيقة وعلمت انها ستقع فريسة الظلم والجهل والحقد اقشعرَّت وارتاعت وضاقت بها الدنيا على رحبها لكنها كتمت ما بها اذ خشيت ان يلم ابوها بواقع الحال فتزداد همومهُ فيقضي عليهِ جزعًا وغمًّا فاخذت تعلق آمالها على ما قالهُ المطران فسكَّن ذلك بعض اضطرابها ومخاوفها حتى اذا ما بسطت الظلمة جناحيها عاودها الهمّ والقلق واستولى عليها الرعب فتمثلت لها حالتها وهي تقاد بين جماهير الناس الى تلك الميتة الشنعاء وسدًى لجأت الى الصلاة فلم تجد لها فيها عزاء فالتمست الراحة في رسائل اوريون وغنائهِ فلم يجدها ذلك نفعًا وشقَّ عليها ان تصبح بعد عزها ورفعة مقامها عرضة لسخرية القوم وضحية لجهلهم فخطر لها ان تنتحر قبل ان يحلّ بها الويل ورأت في الانتحار دواءها الشافي لكنها لم تلبث حتى دفعت عنها هذا الخاطر وعزمت على الاعتصام بحبل الرجاء الى النهاية

وقبل حلول الاجل المضروب لتضحيتها بيومين زارها المطران ليعزيها في محنتها فاخذ يشدد عزيمتها طالبًا اليها ان تلقي اتكالها على الله الى ان قال وسالازمك الى النهاية وابذل جهدي في الدفاع عنكِ فقد يأتينا الفرج من حيث لا ندري وقد زرتك الساعة لاكلمك في الامور الروحية فاذا وقع القضاء وخاب فألنا فاني مستعدّ للعناية بابيك الى ان ترجع نفسهُ الى ربها . فايقنت باولين بحلول الاجل وعلمت ان الامر قضي وان السهم نفذ فوقع كلامهُ عليها كالصاعقة وانطرحت على مرضعها لا تعي ولما افاقت شكرت المطران على ما بذلهُ من المساعي لانقاذها واثنت عليهِ لاهتمامهِ بوالدها فاجاب وقال — فعلت واجبًا فاخفقت وقد كنت اعلل النفس بمنشور البطريرك واعلق الآمال عليهِ فلما اتاني اليوم اذا بهِ غير ما كنت اشتهي نعم ان غبطتهُ شجب هذه الضلالة ولكن منشورهُ ينقصهُ الشدة المطلوبة لارهاب الناس فيقلعون عن غوايتهم لكنهُ آخر سهامي وساطلقهُ فقد يصيب الغرض وقد امرتهم ان يعدُّوا نسخًا كثيرة منهُ لتوزع

على اهل المدينة وسارسل بعض هذه النسخ الى المجالس واعلق غيرها في الاسواق والشوارع على ان املي بالنجاح ضعيف وهذا يسوۀني ويحزنني . فقالت باولين اذًا فساعدني على التأهب للموت واسمع اعترافي فاني اطلب الحل منك وان تكن من غير مذهبي فقال تكلمي ففعلت وهو يصغي الى كلامها وعيناهُ تقطران الدمع السخين حزنًا على صباها حتى اذا ما فرغت باركها وحلها

الفصل السابع والاربعون

ولما وصل المطران الى بيت سوسنة وجدها جثة هامدة وكاترينا واقفة عند رأس السرير وقد شخص بصرها واصفرَّ وجهها فحاول تعزيتها لما آنسهُ من حزنها المفرط وخاطبها بكلام رقيق عذب فدفعتهُ عنها وفرَّت من الغرفة فقال في نفسهِ لم ارَ في ما رأيت حزنًا كحزن هذه الفتاة ويلوح لي ان هنا قلبين ارتبطا باشد ربط الحبّ فلما سكن الواحد غمرت الاحزان الآخر اما كاترينا فلما صارت الى غرفتها انطرحت على سريرها وفي صدرها كغلي مرجل وبعد برهة احسَّت ببرد شديد فظنتهُ الوباء فقالت ليتهُ يأتيني رحمة من ربي فيريحني من حياة الشقاء هذه ثم اخذت تعيد في مخيلتها ما اتفق لها فرأَت امها سائرة في طريق القبر بفضل دسائسها وشدة حقدها وعلمت ان تلك التعيسة تنشقت جراثيم الداء منها ليلة قبَّلت شعرها فان امارات المرض ظهرت اولاً على شفتيها حتى استغرب الطبيب ظهورها في هذا المكان وسمعت هاتفًا يناديها قائلاً انك قاتلة امكِ وخطر لها اذ ذاك ان الاقدمين كانوا لا يفرضون عقابًا لقاتل والديهِ زعمًا منهم ان جرمًا فظيعًا كهذا مستحيل فغلب عليها القنوط وتمنت الموت ثم ضحكت ضحكة الياس الشديد وقالت اي الذنوب لم ارتكب فقد دنست اسم الله واشتركت في السحر والعرافة وشهدت شهادة الزور وارتكبت جريمة القتل فاية وصايا الله التي انزل على موسى لم اخالف فقد ماتت امي مقتولة بيدي واصبح قلبي قرارة آثامٍ ومستودع شرور وخابت آمالي باسرها فقد سعيت الى موت دورا فجاء القدر .... ثم غلب عليها الحزن وعاودها تبكيت الضمير فسئمت الحياة وودت لو تفغر الارض فاها فتبتلعها واحست بضيق شديد فهبت من مكانها وجرت الى حيث كانت جثة امها فركعت بجانبها وهي ترتجف ولما لم تستطع البقاء هناك ركضت الى البستان وقد ضاقت بها الدنيا على رحبها فزارت المواضع التي كانت تقصدها مع امها في حياتها وكانت تنتقل من مكان الى مكان كالمجنونة ولم تزل كذلك حتى طلع الفجر فتنفست الصعداء ثم مشت نحو المنزل فصادفت انو بيس اخاها في الرضاع وكان يبكي فلما رآها اسرع اليها فقالت اواهُ ومصيبة هذا الفتى من بعض اعمالي فدنا منها وعزَّاها على فقد والدتها فاجابتهُ بكلامٍ متقطع لا معنى لهُ حتى قال انها اضاعت رشدها فحزن لحزنها وفاضت عبراتهُ ووقف الاثنان صامتين ثم قالت

اتعرف يا انوبيس كيف يكتبون الوصية قال نعم فقالت صف لي ذلك ففعل الى ان قال ويجب ان يوقع عليها شاهدان يشهدان على صحة توقيع صاحبها اما انتِ فلا تستطيعين كتابة وصيتكِ الآن فانك قاصرة فقالت وما عليَّ من ذاك وقد كتبت باولين وصيتها وليست اكبر مني سنًّا فقال هل بلغكِ انهم سيضحونها غداً فقد سمعت الناس يدعونها عروسة النيل . فابتسمت ابتسام الفوز وبدا الحقد في وجهها لكنها عادت فعبست ودخلت البيت

ونحو الظهر جاء المطران للجنازة فرأَى الازهار النضرة تغطي النعش فقيل لهُ ان كاترينا انتقت تلك الازهار وحدها من البستان ونظمتها اكاليل وباقاتٍ فمال اليها لما آنسهُ من حبها لامها واخذ يعزيها وهي تجيبهُ كالتائهة الغائبة

ولما تقدم الحاملون ليرفعوا النعش هبت كمن افاق من حلم وانطرحت على جثة والدتها فودعتها وداعاً يفتت الاكباد واسندت رأسها الى صدرها كما كانت تفعل في حياتها ثم سالت عيناها بالدموع لاول مرَّة وانهمر ماء العزاء منهما فوضعت فمها على اذن الميتة وقالت انظريني قليلاً فسالحق بكِ وانبئك بجميع ما جرى ثم قبلتها تكراراً حتى ارتاعت الراهبات فجذبنها بعنف وابعدنها عن الجثة ولما اقفل النعش خذلتها قوتها فانطرحت على الارض تبكي من كبدٍ مقروحة وايقنت انها يتيمة لا معين لها على الارض ولا ناصر ولما فتحت عينيها الفت البيت خالياً ساكناً فاستولت عليها الكآبة وخيَّم الياس على قلبها وعلمت انها لا تستطيع مغادرة المنزل والحرس يطيف بهِ فاخرجت منشور البطريرك وكان المطران قد جاءها بنسخة منهُ وقرأتهُ غير مرَّةٍ ومما جاء في ذلك المنشور قولهُ . ان الهنا فوق البشر كما ان النفس فوق الجسد فلا يرضيهِ تقدمة الجسد بل تقدمة الروح افلا يحوّل وجههُ عن مسيحي منف الذين اسدلت غشاوة الجهل على ابصارهم اذا هم لجأُوا في ضيقهم الى ضلالات الوثنيين وفجورهم او يحسب هؤلاء العميان انهم يصرفون غضب الله عنهم بقتلهم فتاة هرطوقية اجنبيَّة أَوَ لا يعلمون ان عملهم هذا يجلب عليهم غيظ الله ونقمتهُ فان ديننا يحظر علينا تلطيخ مذابحنا الطاهرة المقدسة بدم البشر وهو يهب حياةً لا موتاً فاذا كان ثمت فتاة نقية طاهرة مملوءة بحب الله وشاءت هذه الفتاة ان تقتدي بالفادي الذي فدى الجنس البشري فتطرح نفسها في الماء وهي تصرخ قائلة تقبلني يارب تقدمة راضية امامك وانقذ شعبي من ضيقهم فقد يقبل الله التقدمة قائلاً حسبي يا ابنتي رغبتك وارادتك فلن يبذل احد من اولادي الحياة التي اعطيتهُ وهي اثمن هباتي واقدسها . . . . "

فاعادت كاترينا هذه العبارة الاخيرة وهي تتأمل مغزاها ولما طال بها التفكير قالت في نفسها ساكون تلك الفتاة التي يشير اليها البطريرك فاضحي نفسي فدى شعبي واخلص من هذا

الحمل الثقيل فيعلم اوريون والمطران والملأ قاطبة انني منطوية على صفات طيبة واخلاق نبيلة وترى ابنة توما انها لا تفوقني شهامة وعزَّة نفس وساطرح نفسي في الماء بمرأًى منها ومن الواجب ان يعلم اوريون ان الفتاة التي باعت حياتها بارخص الاثمان فعلت ما فعلت حبًّا بهِ فيذكرها طول حياتهِ

وكانت كلما ازدادت تاملاً في الموضوع ازدادت رغبة في العمل وشوقًا الى القيام بهِ واخذت تنتظر حلول الغد بذاهب الصبر لتقوم بعملها المجيد ولما عقدت النية عليهِ شرعت تنظر في توزيع تركتها فتناولت لوحًا وخطت عليهِ وصيتها الاخيرة وفيها تركت جانبًا كبيرًا من ثروتها لعمها وخصت انوبيس اخاها في الرضاع بجزءٍ غير قليل وفعلت كذلك بارملة روفينس تكفيرًا عما فعلتهُ مما ادَّى الى قتل زوجها وتركت نصف مالها وبيتها لاوريون وكتبت تتضرَّع اليهِ ان يقبل البيت بدلاً من قصرهِ لان لها يدًا في حرقهِ وكانت تعلم ان البطريرك يكره اوريون فلم يفتها ان هذا الميراث الذي يصيبهُ يزيدهُ مقتًا في عينيهِ فرأَت ان تحتاط لذلك واوصت اوريون بان يتبرع بجانب كبير مما تركتهُ لهُ للبطريرك والكنيسة وخيرتهُ في تعيين الزمان الملائم فاذا مات في خلال ثلاث سنوات من تاريخ الوصية انتقل نصيبهُ الى عمها ثم افرزت جانبًا من المال للكنيسة بشرط ان تقام الصلوات على اسمها واسم امها في عيديهما في جميع كنائس البلاد وعينت مبلغًا آخر لبناء كنيسة تدعى باسميهما ثم اعتقت جميع عبيدها وتركت مبالغ وافرة للعتقاء من خدمها وبعد ان فرغت من كتابتها بيضتها ودعت الطبيب والعتقاء من اهل البيت وطلبت اليهم ان يشهدوا على صحة توقيعها وفي المساء جاء الطبيب باسكندر رئيس المجلس فقابلتهُ عند باب البيت وعينتهُ وصيًّا عليها ومنفذًا لوصيتها ثم طلبت اليهِ ان يوقع صك الوصية دون ان يرى ما فيهِ ففعل ولما عادت الى المنزل دعت الخدم فامرتهم باعداد سفينتها للغد وان يفرغوا الجهد في تهيئتها وتزيينها بانواع الرياحين والازهار قائلة ارغب في حضور الحفلة غدًا واريد ان اكون بحيث ارى جميع تفاصيلها ثم ذهبت الى غرفتها فنامت نومًا ثقيلاً

الفصل الثامن والاربعون

ما بلج صبح عيد سرابيس وهو اليوم المعيَّن للاحتفال بتقديم الضحية حتى اسرع اهل منف الى ضفة النيل وكلهم طروب مستبشر بقرب انفراج الازمة وانقضاء ايام النحس وكان بعضهم قد قضى الليل بطولهِ هناك ولم يتخلَّف عن الحضور سوى العجزة والاطفال والذين اقعدهم المرض عن المشي او الركوب واختلط الرجال والنساء والاولاد حتى باتوا كالبنيان المرصوص

وكلهم يتشوّف الى رؤية هذه الحفلة النادرة المثال والتي لم يسبق لها نظير في ما رأوه من حياتهم. ولم يدّخر مجلس منف وسعاً في اعداد الحفلة على نمط يأخذ بمجامع القلوب جمالاً ورواء فنصبت دكة كبيرة من الخشب تشرف على النيل وتسع الالوف من المتفرجين وخصت بالذين يدفعون رسمًا معينًا واقيم في وسطها مجالس مرتفعة لاولياء الامر من المصريين وكبار رجال العرب وخدمة الدين وانتشر القوم على شاطئ النهر وكلهم بثياب العيد وقد تهيأوا لقضاء يومهم في اللهو والطرب ودار الباعة بينهم يبيعونهم المبردات والطعام والشراب كعادتهم في المواسم والاعياد وأُقيم امام الدكة صقالة من الخشب داخلة في الماء على شكل نصف دائرة متصلة بالبرّ من طرفها الغربي وافرغ الصنّاع جهدهم في تنميقها وزخرفتها بالرايات والازهار والاغصان والاكاليل حتى غدت فرجة للناظرين وكانت الجهة الغربية منها مكشوفة بحيث يرى المتفرجون ما عليها

ولم يشهد الحفلة من رجال العرب سوى عبادة وثلاثة من المقرّبين اليهِ وامتنع القسوس كلهم عن الحضور . ولمّا اكتمل الحشد واذنت الساعة سمعوا عزفًا فاتجهت الابصار الى مصدر الصوت وكفّت الجلبة وعقب العزف زغردة النساء وغناء الفتيان وكان الصوت يقترب ويزداد جلاء فاشرأبّت الاعناق وسادت السكينة على الجمهور وبعد قليل بدت طلائع الموكب وفي مقدمتها المبوقون على خيول مطهمة فلما دنوا من القوم انقسموا شطرين ووقفوا بخيلهم على جانبي الطريق وعقبهم جوقة من المغنيات فوقفنَ امام المبوقين الى اليسار وتبعهنّ فرقة من الرجال فاصطفت مقابلهنّ الى اليمين وكانوا جميعًا في ثياب خضراء بلون البحر وعليهم اكاليل النيلوفر وفي ايديهم باقات الحلفاء والقصب وقد ضفرت شعور النساء بالازهار البيضاء وتلاهم جوقة من الفتيان والشيوخ وهم بالملابس البيضاء وعلى مناكبهم جلود الببور تشبهًا بكهنة الوثنيين وفي مقدمتهم شيخان وقوران يحمل احدهما كاسًا من الذهب والآخر كاسًا من الفضة يُلقيان في الماء قبل طرح العروسة فيهِ فتقدما الى الصقالة وسارا الى طرفها الآخر فوقفا على جانبيهِ وتلا هؤلاء فرقة كبيرة من الضاربين على الطبول والعازفين على الشبّابات ووراءهم خمسون فتاة ينقرن على الدفوف وخمسون رجلاً بالحلل الخضراء وبعدهم شيء كثير من الزرافات والافيال والنعام والظباء والغزلان وبعض الاسود والببور الاليفة ثم جاءت مركبة كبيرة يجرها اثنا عشر جوادًا ادهم وعليها تمثالان يمثلان القحط والوباء مقهورين وحولهما اولاد سود يصيحون باصوات تصمّ الآذان ولهم اجنحة على اكتافهم وقرون على جباههم وقد شدّ وثاقهم رمزًا الى جيش جهنم وعقبتها مركبة أُخرى عليها إلاهة الفيضان جالسة بين الاثمار والاكاليل وحزم الغلّة وحولها اولاد يحملون

انواع الفاكهة من تفاح ورمَّان وقمح وبلح ودنانًا صغيرة مملوءة خمرًا وكؤُوسًا وتلاها إلاهة الصحة في صدفة كبيرة يجرها ثمانية جياد بلون الثلج وكانت تحمل بيدها الواحدة كاسًا من الذهب وفي الاخرى صولجانًا وتبعها الاله النيل عريس الحفلة منقول شكلهُ عن التمثال الذي حملهُ الرومان من الاسكندرية وهو ملاَّح كبير الجثة كثّ اللحية وقد اتكأَ على قارورة كبيرة واحاط بهِ ستة عشر ولدًا كلهم عراة رمزًا الى الستة عشر ذراعًا التي يعلوها النيل في الفيضان الواقي وكانت مركبتهُ مملوءة بالاثمار والفاكهة والصدف يحرسها نفر من الشيوخ بلباس كهنة الوثنيين فلما ابصرها القوم علا ضجيج استحسانهم وهتافهم ومشى وراءها جوقة من الموسيقيين تصحبهم فرقة من الشبان والعذارى وهؤُلاء اشابين العريس وشبينات العروس. وكان المتفرجون يعجبون بتنظيم الموكب وكثرة من فيهِ وتباين ازيائهم وبهاء حلاهم وكلما طلعت عليهم فرقة قابلوها باصوات الهتاف والسرور غير حافلين بالحرّ ولا مكترثين للجوع والعطش وكانت عيونهم وقلوبهم متجهة في جهة واحدة وكلهم يتطلع الى المزيد الَّا عبادة فانهُ نهض من مكانهِ واخذ يتلفت الى الوراء حيث كانت المدينة فرأى دخانًا قاتمًا يصعد منها وهو يزداد كثافة فتبسم تبسم المزدري وجلس

ولما بلغ موكب العروس الصقالة انقسم شطرين فالفتيان علي الجانب الواحد والفتيات على الجانب الآخر واخذ الفريقان ينشدان ثم جاءت فرقة من الشبان اللابسين جلود الببور ووراءهم مركبة يجرُّها ثمانية ثيران سود وعلى الثيران ريش النعام واعشاب الماء وعلى المركبة مظلَّة على اربعة اعمدة امام كلّ عامود رجل بلباس كهنة الوثنيين وتحت المظلة بيت قصيد الحفلة وعروسة النيل وقد اتشحت بثياب بيضاء واسدلت على وجهها نقابًا ثخينًا وتدلَّى شعرها الفاحم علي كتفيها وامامها اكليل من النيلوفر فضلاً عن باقات منثورة في ارض المركبة وكان المطران يوحنا جالسًا الى جانبها وقد عقد النية على مرافقتها الى مكان موتها للعناية بها قيامًا بوعدهِ لها

ولم يعلم توما واوريون بذهابها لان الاول ثقل مرضهُ فلم يعد يعي على شيء ولأَن اوريون كان يحسب ان طرحها في النيل يتم في الغد كما قال لها في رسالة جاءتها منهُ ذلك الصباح فخفف ذلك بعض همها

ولما بلغت المركبة الصقالة ارتفعت اصوات الجمهور وعلا ضجيجهم وجلبتهم واختلطت بانغام الموسيقى والغناء فرفعوها من مكانها ومشت وراء الفتيان والفتيات وهم ينشدون اغاني العرس فحاول المطران ان يخاطب الشعب فلم يلقَ سامعًا فامسك بيد باولين وسار الى طرف الصقالة وفيما هما ماشيان ادركهما ابولون وطلب الى باولين ان تنزع خمارها وامر المطران ان يتخلى عنها فابيا اجابتهُ فدنا منها ومزق نقابها ثم اومأَ الى الاله النيل فتقدم هذا وحيَّا المطران باحترام وقبض

على يد باولين فاضطر المطران الى مفارقتها ولما بلغا طرف الصقالة التي الشيخان كاسيهما في الماء ثم انبرى احد المحامين وهو لابس لباس كاهن وثني فتلا خطابًا انيقًا فصَّل فيهِ معنى هذه الخطبة والزواج ومفاد الضحية ومزاياها ولما فرغ وضع يد باولين في يد الشيخ وطلب اليهِ ان يطرحها في النيل بصفتهِ نائبًا عنهُ وحينئذٍ دنت سفينة مزدانة احسن زينة من الرصيف فحالت دون القاء الفتاة فصاح احد الحاضرين وقال هذه سفينة سوسنة وقال غيرهُ وهذه ابنتها ووارثة فليمون الغني فقال آخر وهذه عروسة اخرى وأَخذ الباقون يتساءلون عن الغرض من دنوّ السفينة من الرصيف وظهورها بمظهر العيد في حين ان سوسنَّة دفنت امس ولم يكن الاَّ كلا حول ولا حتى صعدت كاترينا الى ظهر السفينة فصاحت بالقوم قائلة

” ايها المطران المحترم ويا اهل المدينة خذوني عروسة للنيل بدلاً من ابنة توما فاني مستعدة لتضحية حياتي مختارة اسمعتَ ايها المطران المحترم اني اودُّ بذل نفسي فداءً لشعبي وبلادي وقد قال البطريرك ان تقدمة كهذه يقبلها الله فصلوا لاجلي وارحمني يا رب وهاءنذا يا امَّاه آتيه اليك “ ثم طرحت ما كان في يدها من الزنابق وأَلقت بنفسها في الماء. فارتفع ضجيج الخلق بين مستحسن ومستهجن وشاكر ومرتعدٍ ورآها النوتي الشيخ الذي كان يمثل اله النيل فارتاع وافلت يدهُ من يد باولين ووثب الى النهر وتبعهُ انوبيس وبعض البحارة فلم يظفروا بها وكان انوبيس اعرج لا يستطيع السباحة فغرق ولحق بكاترينا في قبرها. ولمَّا هدأَ روع الناس امسك المطران يد باولين بيسراهُ ورفع الصليب بيمناهُ وقال مخاطبًا الجمهور ” لقد تمت مشيئة ابينا البطريرك الذي تكلم بوحي الهي وهوذا فتاة يعقوبيَّة طاهرة نقية ضحت نفسها مختارة مقتدية بالفادي تكفيرًا عن ذنوب مواطنيها امَّا الآن وقد اصاب النيل ضحيتهُ فهذه (واشار الى باولين) حرَّة يجب الافراج عنها “ لكنهُ لم يكد يتم كلامهُ حتى هجم ابولون عليهما فقبض على ثوب باولين وصاح بمن حولهُ ليدنُ احدكم فينوب عن اله النيل ويطرح في النهر عروستهُ فاعترضهُ المطران مدافعًا عن باولين ليحمي عنف ابولون وامسكهُ يريد نزع الصليب من يدهِ فصاح بهِ المطران بصوت كهزيم الرعد ” محروم محروم “ ولما سمع المصريون هذه اللفظة هبَّت الحمية في صدورهم واتقدت نار الغيرة الدينية في قلوبهم فهجم رئيس جوقة المغنين على ابولون وجذبهُ بعنفٍ وانحاز اليهِ كثيرون غيران بعضهم تشيَّع لابولون وفيما هم بين اخذ وردٍّ سمعوا اجراس المدينة تقرع قرعًا عنيفًا وابصروا شابًّا يجري نحوهم وفي يدهِ سيف مصلت وقد اسودَّ وجههُ وتمزقت ثيابهُ فحاد القوم عن طريقهِ اذ رأَوهُ يندفع نحوهم كالسهم المارق ولما توسطهم عرفوهُ انهُ اوريون فوثب على الصقالة كالاسد الضاري وانتشل باولين من قبضة ابولون فلما رأَتهُ كاد

يغمى عليها من الفرح والذهول فضمها اليهِ بيسراهُ وبقي شاهرًا سيفهُ باليمنى فلم يجسر احد على الدنوّ منهُ فقد كان كلبوءَةٍ تدافع عن اشبالها ولما انتشل باولين سقط الشيخ ابولون على وجههِ ثم نهض واراد الهجوم عليهما لكنَّ اوريون لم يكن وحدهُ بل تبعهُ رجال هجموا على القوم ومزقوهم اي ممزق فدافع هؤلاء وتراكضوا وسقط بعضهم في الماء ومنهم ابولون فغرق في من غرق ونجا الباقون سباحة وكان عبادة يراقب ما يجري نخشي ان يكون صاحب السيف اوريون فنهض يريد القبض عليهِ واعادة النظام الى الحفلة لكن ازدحام الناس حال دون تقدمهِ وذلك ان المسجونين فرُّوا كلهم من السجن وجروا الى مكان اجتماع الناس وهم يصرخون النار النار فقد احترق السجن والمدينة يلتهما اللهيب. فاضطرب القوم وهبوا يطلب كل واحد منهم بيتهُ لينقذ مالهُ واطفالهُ ففكوا الخيول والثيران من المركبات فركبوها وهم يصيحون ويبكون ويلعنون واختلط الحابل بالنابل حتى لقد يظن الناظر اليهم ان القيامة قامت . فاستلَّ عبادة سيفهُ وهجم يريد الصقالة وهو يدفع الناس من امامهِ اما هم فجمدوا مكانهم لا يتزحزحون منهُ ودهش لسكونهم فرفع عينيهِ ورأى وراءهُ غبارًا سدَّ منافس الفضاء ثم انجلى عن فرسان غاطسين في الزرد والحديد يتقدمهم القاضي عثمان فلما وصلوا ترجَّل القاضي وصاح لقد عفي عنها ثم دنا من باولين وهنأها بخلاصها وسلامتها فلما سمع عبادة ما قال علم ان الامر جاء من الخليفة

وكان البعض قد اضرموا النار في السجن اثناء الحفلة يريدون هلاك اوريون مخنوقًا لكنَّ السجانين دروا بذلك فاطلقوا سراح المسجونين واسرع اوريون ومن معهُ الى ضفة النهر كما تقدَّم. اما النار فاندلع لهيبها في المدينة فالتهمت المساكن والمنازل فلم تبقِ ولم تذر ولم ينجُ من فتكاتها سوى بعض البيوت وفي جملتها بيت روفينس فامر القاضي بنقل اوريون وباولين اليهِ وطلب اليهما ان يمكثا فيهِ الى ان يعود عمرو ابن العاص

اما عمرو فان رستمًا وماري لقياهُ في برنيس فبسطا لديهِ ما حلَّ باوريون وباولين وما يتهددهما من الهلاك العاجل وكانت برنيس محطة لحمام الزاجل فرفع عمرو الامر الى الخليفة في المدينة فاتاهُ الجواب بالعفو عن الفتاة فبعثهُ الى القاضي كما تقدَّم

وظلَّ ماء النيل آخذًا في الانخفاض رغمًا عن تقديم الضحية فدعا القاضي اهل منف والفسطاط الى اجتماع عقدهُ على ضفة النيل وذلك لثلاثة ايام بعد الحفلة ثم امر المنادي العربي والترجمان المصري ان يعلنا على رؤُوس الاشهاد ما يقولهُ الخليفة من أن الله يكرهُ الضحايا البشريَّة الى ان قال وقد ارسل الخليفة كتابًا ليلقى في النهر وهذه صورتهُ " الى نيل مصر امَّا بعد فان كنت تجري بامرك فلا تجرِ واذا كان الله الواحد القهَّار هو الذي يجريك بامرهِ فنسأل

الله الواحد القهار ان يجريك" ثم امر القاضي الناس ان يعبروا النهر ففعلوا ومشى المطران والكهنة في مقدمة المسيحيين ومشى الحاخامون في مقدمة اليهود واجتمعت الطوائف الثلاث في جامع عمرٍو حيث ابتهلوا الى الله وتضرعوا اليهِ ليشفق عليهم ويمنَّ بالفرج

يقول كاتب هذه الرواية وليست هذه المرة الوحيدة التي اجتمعت فيها تلك الطوائف في الجامع المذكور ليدعوا الله فقد رأيت بعيني المسلمين والمسيحيين واليهود مجتمعين فيهِ مشتركين في الصلاة والدعاء وعندي ان الله استجاب صلواتهم المشتركة

ولم يمضِ زمن طويل حتى جاءت البشائر من الشلالات تنبئ بارتفاع ماء النيل في تلك الاصقاع ثم اخذ النيل يرتفع في مصر حتى فاضت ضفتاهُ فارتوت الارض العطشانة وابشر الفلاح بقرب الفرج وسقط مطر غزير فغسل الارض والاشجار من ادرانها وذهب بالغبار وانقضى الوباءُ . وفي تلك الاثناء عاد عمرٌو يصحبهُ رستم وماري وفيلبس وهاشم

ولمَّا صفت الاكدار احتُفل بقران اوريون وباولين وفيلبس وهيلانة ورستم وماندانى احتفالاً نادر المثال. ووقف عمرٌو على المشروع الذي وضعهُ اوريون في تقسيم الاطيان فاعجبهُ وسرَّ بهِ فاثنى عليهِ واقامهُ مقوقساً مكان ابيهِ فانتقل بزوجتهِ الى الاسكندريَّة ومعهما ماري ابنة اخيهِ ومهذبتها . وكانت باولين قد قصَّت عليهِ ما فعلتهُ كاترينا فحزن عليها حزناً شديداً وحفظ لها في قلبهِ اجمل ذكر ورزقا ولداً ذكراً عنيا بتربيتهِ احسن تربية ورأى البطريرك ان لا فائدة من مناوأة اوريون فصالحهُ ولمَّا ولد ابنهُ تولى عمادهُ وكان لهُ عراباً وسماهُ جريج على اسم جدهِ

امَّا فيلبس فرحل بعروسهِ وامها الى الاسكندرية حيث تفرغ لمهنتهِ بجدهِ المعتاد محسناً الى الفقراء ومكرماً من الجميع وظلَّ الى آخر حياتهِ صديقاً حميماً لاوريون واهل بيتهِ ولمَّا ماتت ام هيلانة دفنوها في قبر زوجها روفينس

واجزل اوريون العطاء لرستم ووهبهُ شيئاً كثيراً من المال فاقترن بماندانى وعاد الى بلادهِ فاشترى ضيعة واهتم بتربية الماشية والسائمة ورزق اربعة بنين سماهم هاشماً وفيلبس ورستم وروفينس

وشفي الضابط ابن اخي يوستينوس الوزير من جراحهِ بعناية دورا فباح لها بحبهِ وكانت تعلم انهُ احبها قبل ان تزوجت باخيهِ المتوفى فقبلتهُ زوجاً واحتفل بقرانهما في مصر واهدتهما باولين الزمردة الكبيرة التي اعيدت من القسطنطينية

ولم ينسَ الناس في مصر عروسة النيل ولا يزال اهل القاهرة يصنعون دمية من الطين يسمونها العروسة ويطرحونها في النهر ليلة نزول النطقة . انتهى

الطب والنظافة

والاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة

اطَّلعت على ما كتبهُ الدكتور ابرهيم شدودي في اسباب امراض العيون في القطر المصري وما قصد اثباتهُ من ان الاسلام يوجب التداوي والنظافة فاردت ان اعزز قولهُ بجمع بعض الاحاديث النبوية والاحكام الشرعية التي توجب النظافة والمعالجة وهي :

في الجامع الصغير للسيوطي "ان الله تعالى حين خلق الداء خلق الدواء فتداووا". رواهُ الامام احمد . وقال في الحاشية للحفني اي بإخبار الطبيب العارف مع ملاحظة انهُ سبب وان الذي يشفي حقيقةً هو الله تعالى

وفيهِ " ان الله تعالى لم يضع داء الاَّ وضع لهُ شفاء فعليكم بالبان البقر فانها ترمُّ من كل الشجر " . رواهُ الامام احمد

وفيهِ " تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الاَّ وضع لهُ دواء غير داء واحد الهرَم " . رواهُ الامام احمد واصحاب السنن الاربعة وغيرهم . وقال في الشرح اي اطلبوا الدواء واسأَلوا الحكماء عما يناسب ما بكم . قولهُ تداووا الحديث فلا ينبغي اهمال التداوي للتوكُّل ولذا مرض سيدنا موسى عليهِ السلام فقالت لهُ بنو اسرائيل تداوَ بكذا فقال لا اتداوى بقولكم بل بالوحي . وانمَّا انتظر الشفاء من الله تعالى فلم يحصل لهُ الشفاء فنزل الوحي عليهِ اتريد ان تبطل حكمتي التي وضعتها في العقاقير فمن خلق العقاقير غيري فانا الذي خلقتها واخلق الشفاء عند تعاطيها . ولا يرد على ذلك قول الصديق رضي الله تعالى عنهُ حين قالوا لهُ انأْتي لك بطبيب فقال انهُ نظر لي فقالوا ماذا قال . فقال قال لي انا الفعَّال لما أُريد . اي انهُ علم بنور قلبهِ انهُ قرُب اجلَهُ فلم ينفعهُ الدواء . وكذا اهل الله تعالى منهم مَن يطلعهُ الله تعالى على عدم نفعهِ بالدواء فيتركهُ . اما من لم يبلغ هذا المقام فلا يترك هذا التداوي نظرًا للتوكل . انتهى عن الجامع الصغير

من شرح المشكاة لملاَّ علي قاريء عن سعد رضي الله عنهُ قال مرضت مرضًا اتاني النبي صلى الله عليهِ وسلَّم يعودني فوضع يدهُ بين ثدييَّ حتى وجدت بردها وقال انك رجل مفؤُود ائتِ الحارث بن كلَدة اخا ثقيف فانهُ رجل يتطبَّب (اي يعرف الطب مطلقًا او هذا النوع من المرض فيكون مخصوصًا بالمهارة والحذاقة . قال الشراح وفيهِ جواز مشاورة اهل الكفر في الطب لان الحارث مات في اول الاسلام ولم يصح اسلامهُ) فليأْخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فيجأْهنَّ (اي يكسرهنَّ ويدقهنَّ) بنواهنَّ ثم ليلدَّك (من لدَّ الدواء اذا صبهُ في فمهِ

واللدد ما يُصَب من الادوية في احد شقي الفم) قال القاضي وانما امر الطبيب بذلك لانهُ يكون اعلم باتخاذ الدواء وكيفية استعمالهِ . قال التوريشتي وانما نعت لهُ العلاج بعد ما احالهُ على الطبيب لما رأى هذا النوع من العلاج ايسر وانفع او وثق على قول الطبيب اذا رآهُ موافقاً لما نعتهُ (رواهُ ابو داود)

وروى الامام مسلم في صحيحهِ بسندهِ عن عاصم بن قتادة قال جاءنا جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما في اهلنا ورجل يشتكي خراجاً بهِ او جراحاً فقال ما تشتكي فقال خراج فيَّ قد شقَّ عليَّ فقال يا غلام ائتني بحجَّام فقال لهُ ما تصنع بالحجام يا ابا عبد الله قال اريد ان اعلق بهِ محجماً . قال والله ان الذباب ليصيبني فيؤذيني ويشق عليَّ . فلما رأى تبرُّمهُ من ذلك قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يقول ان كان في شيءٍ من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة عسل او لذعة بنار . قال فجاء الحجام فشرطهُ فذهب عنهُ ما يجد

وفيهِ عن جابر رضي الله عنهُ عن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال " لكل داءٍ دواءٌ فاذا أُصيب دواءُ الداء برأ باذن الله تعالى " قال الامام النووي رحمهُ الله تعالى في هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا وجمهور السلَف وعامَّة الخلَف . قال القاضي في هذه الاحاديث جملة من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابهُ بالامور المذكورة في هذه الاحاديث التي ذكرها مسلم وفيها ردٌّ على من انكر التداوي من غلاة الصوفية وقال كل شيءٍ بقضاء وقدر فلا حاجة الى التداوي . وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوي هو ايضاً من قدَر الله وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفَّار وبالتحصُّن ومجانبة الالقاء باليد في التهلكة مع ان الاجل لا يتغيَّر والمقادير لا تتأخَّر ولا تتقدَّم عن اوقاتها ولا بدَّ من وقوع المقدرات

وفي شرح المشكاة روى البزار عن عروة قال قلت لعائشة رضي الله عنها اني اجدكِ عالمة بالطب فمن اين فقالت ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم كثرت اسقامهُ فكانت اطباء العرب والعجم ينعتون لهُ فتعلمت ذلك . انتهى

هذا من حيث الطب والتداوي اما حيث النظافة ففي الجامع الصغير للسيوطي " احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس " رواهُ الحاكم . " واغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزيَّنوا وتنظفوا فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم " رواهُ ابن عساكر . " الاسلام نظيف فتنظفوا فانهُ لا يدخل الجنَّة الاَّ نظيف " رواهُ الطبراني في الاوسط . قال الحفني قولهُ فتنظفوا اي حسَّا او معنًى ولذا وجد سيدنا عمر

في فناء دار ابي سفيان قمامات فضربهُ بالدرَّة وامرهُ بتنظيفها فقال الناس لو كان ذلك في غير هذا الزمن لحصل ما حصل اي لان ابا سفيان كان من كبار قريش وسيدنا عُمر لا يراعي في الله كبيرًا ولا صغيرًا . " انكم قادمون على اخوانكم فاصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا كانكم شامة في الناس فان الله لا يحبُّ الفُحش ولا التفحُّش " . رواهُ الامام احمد والحاكم وغيرهما . " ان الله تعالى جميل يحبُّ الجمال " قال المحشي قولهُ يحب الجمال اي التجمل في الهيئة وهذا يطلب تأخير نحو الزيَّات في آخر المسجد لئلاَّ يتضرَّر بهِ من يقربهُ فقول من يدَّعي التصوُّف المطلوب تنظيف القلوب بدل الثياب جهل بسنتهِ صلى الله عليهِ وسلم . " ان الله تعالى يحب الناسك النظيف رواهُ الخطيب " وفي كنز الحقائق للعلامة المناوي " النظافة تدعو الى الايمان " رواهُ الطبراني

هذا من حيث الطب والنظافة وقد رأَيت في احياء العلوم لحجَّة الاسلام الشيخ محمد الغزالي وشرحهِ للسيد محمد مرتضى الحسيني ما يوجب تعلُّم الطب وهو قولهُ

في بيان العلم الذي هو فرض كفاية اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنهُ في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانهُ ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها (فان في كل منها مسائل يحتاج في معرفتها الى علم الحساب ولهذه الضرورة اعدَّ الملوك مواضع خاصَّة بالمرضى ورتَّبوا على ذلك اوقاتًا واول من عمل ذلك في الاسلام الوليد بن عبد الملك ذكرهُ ابو بكر احمد بن علي الحلواني في لطائف المعارف وعينوا القسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصَّة دون غيرهم) وهذه هي العلوم التي لو خلا عمَّن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجَّب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضًا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد من الحجَّام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريض انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعمالهِ واعدَّ الاسباب الى تعاطيهِ فلا يجوز التعرُّض للهلاك باهمالهِ واما ما يُعَدُّ فضيلة فالتعمُّق في دقائق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك ممَّا يستغنى عنهُ ولكنهُ يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليهِ انتهى

هذا ما رأَيت جمعهُ من الاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة الدالة على وجوب التداوي والنظافة وعلى ان تعلم الطب فرض لا بدَّ منهُ لكل بلد

احد القراء

باب الزراعة

دودة القمح وعلاجها

سأل سائل في الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين من المقتطف عن دودة سوداء تظهر في الحنطة باراضي اميون من اعمال لبنان وذكر انها صغيرة تشبه دود الحرير في اول ادوارهِ وفي آخر اذار (مارس) لا يعود لها اثر . وطلب ارشادهُ الى دواءٍ او واسطة تقي الزرع منها او تمنع ظهورها فيهِ . وكان جواب المقتطف ان وصفهُ هذا لا يكفي لمعرفة نوع الدودة وطبائعها لينظر في علاجها . ومع ذلك سرد بعض الوسائط الواقية حقيقة من هذا الداء الفتاك الى آخر ما جاء في جوابهِ . وقد خطر لي حين تلاوة سؤالهِ انهُ يعني دودة القمح الفتاكة بمحصولات هذه البلاد. واذا كان الامر كذلك فها تذييل لجواب المقتطف تتميماً للفائدة فنقول

ان دودة القمح الشهيرة ببلاد الشام هي الدودة التي تظهر في مزروعات الحنطة حينما يبدأ الزرع في النمو ويعلو حتى يغطي الارض ومنشأها الزرع نفسهُ فهي تتوالد فيما بين لفائف النبات ويتكاثر نسلها حسب استعداد الارض وقد تبتدئ في عملها من اعلى القصبة الى اسفلها فاذا كانت الارض مستعدة لتقوية الزرع ومقاومة الدودة وكان الجو بارداً وكثرت الامطار تغلب نمو الزرع على الدودة ونجا منها وبعد اسبوع او اسبوعين يخضرُّ بعد اصفرارهِ ويغدو كأن لم تصبهُ آفة ما واما اذا كانت الارض متعبة بالزراعة ومهملة خدمتها فتتغلب الدودة على الزرع وتصل الى اصولهِ فيصفر بعد اخضرارهِ . وكلما هبَّت الريح تسمع لهُ هشيشاً كهشيش الزرع عند حصادهِ . وقد يسلم منهُ ما كان على اطراف الحقل بجانب الطريق او ما هو داخلهُ وارضهُ مزبلة ولو بالصدفة امَّا بنزول الغنم فيهِ او بنحو ذلك وهذا يثبت ان التزبيل يفيد القمح وينجيهِ من فتك هذه الدودة

وقد لاحظنا مراراً ان هذه الدودة تتولد من نفس الورق . وذلك اننا جئنا الى بقيع من الزرع دخلتهُ الدودة ومسكنا ورقة وفحصناها فحصاً جيداً فوجدنا الدودة فيها كأنَّ يداً شقت الورقة وغلفت تلك الدودة بها ودققنا النظر فلم نجد في الورقة خدشاً ولا شقاً بل كان جميع الورقة اخضر سليم من كل الشوائب سوى محل الدودة وكذلك فحصنا غيرها من الاوراق وتعدد فحصنا فوجدنا النتيجة كما شرحنا يعني ان الدودة تتولد داخل الورق وهي ان كان رأسها الى الاسفل تعيش وتأكل وهي داخل الورق حتى تصل الى القصب من الزرع وتتلفهُ واذا كان

رأسها الى الاعلى فلا تضر لانها تصل الى طرف الورقة العلوي وتنفذ منها بدون ان تضر بالقصبة

وما وصف بهِ الخواجه حنا حكيم دودتهُ نظن انهُ يقع على هذه الدودة سواءٌ كانت متولدة في الساق او داخل الاوراق . ونزيد على وصفهِ بكونها تشبه دودة الحرير في اول ادوارها انها تشبه ايضاً دود التفاح ولكنها اصغر منهُ قليلاً وجسمها مبسط خلاف دودة التفاح المبرومة الهيئة ومن جملة صفاتها ايضاً انهُ يكون حولها اشياء صغيرة مثل بزر الدخان او بزق الذبان وهذا على ما نظن اما ان يكون فضلات لها او بزوراً يتكاثر نسلها بها اذا سنحت لهُ الفرصة

هذا ما كان من وصف دودة القمح الشهيرة فلنشرح الآن سبب ظهورها في الزرع فنقول.

ان المسبب لظهور هذه الدودة في القمح هو إتعاب الارض بالمزروعات وعدم الاعتناء بخدمتها وتسميدها او عدم اراحتها من الزراعة مدة كافية لكي تستفيد وتعوض ما صرفتهُ من المواد المختلفة الموقوف نمو المزروعات عليها . فلنأخذ هذه السنة ارضاً بكراً ونزرعها زراعة شتوية يعني قمحاً او شعيراً وفي السنة التالية نكربها يعني نصيفها (والكراب هو حرث الاراض ثلاث مرات او مرتين على الاقل وبعدها رمي البذار وحرث الارض) ونزرعها بمثل الذرة او السمسم او البطيخ او القرع وما شابه من المزروعات الصيفية ونعيد ذلك مرتين او ثلاث يعني نزرعها على فصلين كل سنتين ونعيد ذلك مرتين او ثلاث مرات او اكثر فالارض الجديدة لا بدَّ ان تصرف ما فيها من القوت في هذه السنوات الست او اكثر او اقل حسب نوعها وقوتها وضعفها فتبطئ بالزرع وتؤَخر نموهُ حتى يجيء الوقت المعين لظهور الدودة "وهو على الغالب شهر اذار" وتفعل ما تفعل بالمزروعات

فهذه هي حالة الارض البكر الجديدة التي لم ترَ الزراعة او رأَتها وبوِرت عدة سنين فكيف يحل يا ترى بالارض المستعملة على الدوام بدون خدمة واعتناء كما هو جارٍ عندنا الآن . فهي لا شك تفلس وتضن على الفلاح وتضيع لهُ بذارهُ واتعابهُ . والارض التي حالتها كذا فهي عوضاً عن ان تكون معرضة للدودة فخصبها قليل وزرعها نحيل وفلاحها فقير

هذا ويوجد لمنع هذه الدودة وسائط جمة ومنها ما وصفهُ المقتطف ونزيد عليها ما هو آتٍ فنقول قاسمين ذلك الى ثلاثة اوجه . الوجه الاول . اقسم ارضك الى قسمين احدهما شتوي والثاني صيفي وبعدها شلّف الارض الشتوية يعني ازرعها ثانية في السنة الثانية زرعاً شتوياً كالحنطة والشعير والعدس وما اشبه وكذلك افعل بالنصف الثاني واجعلهُ كربتين يعني ازرعهُ زرعاً صيفيًّا على سنتين متواليتين . واحسن مزروعات الصيف ما طالت جذورهُ كالسمسم والبطيخ والقرع وما اشبه لان جذور هذه النباتات تكون طويلة وتغتذي من الارض بصورة

نسبية بحيث تبقي خواص في الطبقة الاولى (ولنفرض الطبقة الاولى عشرة سنتيمترات والثانية عشرين) التي لا تتجاوزها جذور القمح وذلك خلاف الذرة فهي على ما هي عليهِ من طول الساق والعلو وكبر العرنوس لا تمتص غذاءها الاَّ من الطبقة الاولى حيث يمتص القمح غذاءهُ وذلك لقصر جذرها وعدم نزولهِ في الارض كفاية بحيث ان يتلقى غذاءهُ مناصفة من الطبقة الاولى والثانية. ونحن هنا لا نريد بخس الذرة حقها والحط من قدرها وعدم الترغيب في زرعها بل اردنا بيان الافضلية بينها وبين غيرها بالنسبة الى موضوعنا . ومع ذلك فاذا كربت الارض مرتين بالذرة فقد تفي بما نريد ولكن كراب طويل الجذور افضل من كرابها . وبعد ان تفعل ذلك يعني بعد ما تزرع الارض على نصفين في سنتين كما شرحنا ومتى اوسمت الدنيا وبدأ الحراث احرث الارض المكروبة حنطة او شعيرًا حسبما تريد فلا يصيبها الدود وعند الكراب اكرب ارض الشلف وبحلول الشتاء في السنة التالية ابذرها قمحًا او شعيرًا فهذه ايضًا في الغالب لا تدود ولا سيما اذا كان كرابها جيدًا من ذوي الخمس حرثات وبعد ذلك اكرب هذه مرتين يعني صيفها صيفيتين وشلف الاولى يعني ازرعها زرعًا شتويًّا سنتين متواليتين وهكذا اجرِ المناوبة على القطعتين فارضك تسلم من الدودة على الغالب ولا يخلف ذلك الاَّ ما ندر . وهذه الطريقة معلومة عند اهل البر بالكربتين او التشليف وهي الشائعة بينهم لقرب تناولها مهما كانت عليهِ من المضرة في المحصول الشلفي لان الارض اذا كرر زرعها قمحًا او شعيرًا فمحصولها ولو سلم من الدودة يكون نصف محصول او اقل

وسبب تأثير الكراب على سنتين في الدودة هو كون الارض تُكرب وتُخدم وتحرث مرارًا وتستريح من زراعة القمح حولين تُوفر وتخزن في غضونهما المواد اللازمة للقمح لان ما يحتاجهُ السمسم والذرة والقرع وما شابه من المزروعات الصيفيَّة من المواد الكيماويَّة يختلف بنوعهِ ومقدارهِ عمَّا يحتاج اليهِ القمح منها. وهنا قد سلَّمنا بهذه المسألة يعني بكون الكراب لكثرة خدمتهِ وحراثهِ المترادف وراحة الارض يكون سببًا لتقوية الزرع وقتل الدودة ولكن ما الذي نعبّرهُ بمسألة الشلف لانهُ ايضًا يمنع ظهور الدودة بلا منازعة ولا خلاف فلا نرى سوى طريقة واحدة وهي بحدّ ذاتها لا تثبت لنا شيئًا اكيدًا ولكن سنوردها للاطلاع عليها

لا شك ان للدودة اوانًا تظهر فيهِ كما بيَّنَّا سالفًا وانها قد تضر بالزرع اذا كان في شبتهِ الاولى عن الارض يعني اذا كانت القصبة في اول نموها وكان علوها عن الارض ما بين العشرين والخمسة والعشرين سنتيمترًا يعني ما بين الشبر والفتر وما قاربهما وعلى ما نظن ان كل من عني بمسألة الزراعة يوافق على ذلك فلماذا يا ترى لا تضر الدودة بزرع الارض الشلف ولو كان كبرهُ

نحو خمسة وعشرين سنتيمترًا كما اشرنا . والجواب عن ذلك امَّا ان تكون الدودة مركبة من عناصر مختلفة اغلبها توجد في القمح وما زال القمح زرع مرتين متواليتين في الارض الواحدة واخذ اكثر العناصر والمواد النافعة لهُ في اول سنة فما اخذهُ منها في السنة التالية لا يكاد يكفيهِ لدرجة النشو عن الارض لا لدرجةٍ تجعلهُ صالحًا ليتولد منهُ حيوان تراكيب جسمهِ من نفس ما ركب منهُ هو ايضًا . واما ان يكون السبب خلاف ذلك ممَّا ندعو فضلاء المقتطف الى البحث فيهِ لكونهِ من الابحاث العلميَّة العميقة التي لا مجال لنا لخوضها

الوجه الثاني — يسمى التغطيس يعني زراعة الحنطة بعد ايام عيد الغطاس عند المسيحيين ويصادف ذلك اواسط كانون الثاني (ديسمبر). وليس يخاف ان المقصود برمي البذار في هذا الوقت هو كي يكون متأخرًا عن ميعادهِ ويأتي ميقات ظهور الدودة وقد كاد الزرع يشرع بالانبات ولا يزيد طولهُ عن ١٠ سنتيمترات ولا تكون القصبة متجسمة حينئذٍ فالدودة طبعًا لا تتوفر لها المواد الضرورية لنموها ويسلم الزرع منها . ولولا وجود محذورين مهمين من استعمال هذه الطريقة لكانت تفي بالمطلوب وتفوق عملية الكربتين وهذان المحذوران هما اولاً ان الفلاح لا يتيسر لهُ ان يزرع ارضهُ كلها ولا نصفها وذلك لضيق الوقت ومداهمة فصل الربيع . ثانيًا ان الزرع الغطاسي يكون في الغالب معرَّضًا للعطش في السنين التي يعز المطر في اواخرها ويمضي الشتاء وينقضي الربيع قبل ان يشبع ويروى من الماء فيقل محصولهُ وتضعف نشأتهُ وتضيع الفائدة منهُ . فلهذين السببين يقتصر الفلاحون دائمًا على هذه العملية في قطع مخصوصة تكون من عادة دودتها الفتك الذريع بالمحصول ويكون كرابها عسرًا على صاحبها لفقرهِ ولعدم اقتدارهِ

الوجه الثالث — قلب الارض يعني بحثها واخراج الطبقة السفلى من التراب وجعلها عليا وتخفيض العليا وجعلها سفلى فبهذه العملية كأن الفلاح تمكن من ايجاد ارض جديدة مستريحة مدة سنوات وفرت بها خواصها . فنحن اذا استحضرنا محراثًا افرنجيًّا يغور في الارض مقدار عشرين سنتيمترًا ويقلب اعلاها اسفلاها وقلبنا بهِ الارض ثم بذرناها قمحًا وحرثناها بالمحراث البلدي العادي المعلوم (والموجود على هيئتهِ من ايام سيدنا ابرهيم بدون تغيير) فيكون القمح مزروعًا في الطبقة الاولى لان محراثنا لا يصل الآن الى عمق عشرة سنتيمترات او ثلاثة عشر سنتيمترًا في الارض فلا شك ان الزرع يخصب ويسلم من الدودة . والمقصود بحرث الارض بالمحراث البلدي بعد رمي التقاوي هو كون القمح لا يلزمهُ تغمير في التراب اكثر ممَّا يغمرهُ فيهِ هذا المحراث لاننا لو بذرنا الحنط وحرثنا عليها بالمحراث الافرنجي فالغالب ان القمح يبطئ عن الظهور على وجه الارض ولربما يضيع منهُ حبوب كثيرة لكونها تتخمر . وننبه على الفلاح

ان لا يأتي هذا الامر اصلاً بل يلزم الطريقة التي كيَّفناها وبيناها اعلاهُ لكونها اسهل واتم واوفر في العمل لان المحراث الافرنجي مكلف نوعاً بخلاف البلدي وليس لهُ فائدة في الحرثة الثانية حين رمي البذار

وقلب الارض على هذا الوجه ينشل الزرع من خطر الدودة مدة ثلاث سنوات او اربع وبعدها نرجع ونعيد قلبها ثانيةً بالسكة الافرنجيَّة كما مرَّ آنفاً ولكن الاحسن انزال سلاح السكة الى ثلاثين سنتمترًا واكثر حين اللزوم اذا امكن ونعيد ذلك في كل برهة من السنين. وقد تقضي السكة الافرنجيَّة الوظيفتين بهذا الامر يعني اذا استعملناها اولاً لقلب الارض فمن الممكن ايضاً ان نستعملها لحراثتها بعد رمي البذار حتى لا تغور في التراب اكثر من السكة البلديَّة وذلك يحصل برفع سلاح السكة الى الاعلى بواسطة مسمار يدير هذه الوظيفة . وكل فلاح اسعدهُ الزمان واستعمل هذه الآلة الزراعيَّة يعلم ذلك . وقد افلحت هذه السكة في بلادنا ومستعمرو الافرنج ومهاجرو الموسويين هنا لا يستعملون غيرها . وهي قد مثلت لنا الفرق بينها وبين آلتنا القديمة العهد وقلما ظهرت الدودة في الاراضي التي حرثت بها . ولكن لا عبرة لمن لم يعتبر . ولعمري ان هذا الامر من الغرائب لاننا نرى ان الدودة تفعل بمزروعات بلادنا افعالاً ذريعة حتى انها تضيع على الحكومة ما ينيف عن العشر من وارداتها ان لم نقل الخمس في كثير من الاحيان وهي لا تقاوم هذا الامر بشيءٍ فالدودة اذاً تهلك لنا في كل سنةٍ واردات اكثر من واردات كريد او اكثر من واردات البانيا او اكثر من واردات مكدونيا . فنحن والحالة هذه كاننا نخسر كريد او غيرها من الولايات في كل سنة بدون ان نتفكر بطريقة لحمايتها وصيانتها . هذا ونذكر القارىء تكرارًا بطريقة التزبيل والتسميد التي ذكرها المقتطف كما اشرنا . واني بلسان عجزي ادعو كل من اطلع على رسالتي هذه ان ينتقد ما يستحق الانتقاد فيها . ورب مجرب اعلم من طبيب ولا سيما في موضوعنا هذا

القدس الشريف احد قراء المقتطف

[المقتطف] لقد اجاد حضرة الكاتب الفاضل وافاد ولم نكن نعلم ان هذه الدودة تفتك هذا الفتك في بلادنا ويظهر من وصفهِ اياها انها من جنس الدود المعروف في اوربا واميركا بدود الحنطة وسنصف هذا الدود وكيفية وضعهِ بيضهُ في نبات القمح وسائر طبائعهِ في جزءٍ تالٍ

اما الاساليب التي اشار بها لنجاة الحنطة من فتك هذه الدودة فعمليَّة معقولة كلها ولا بدَّ من ان يكون الكاتب قد عرف فائدتها بالاختبار وحبذا لو اذن لنا في التنويه باسمهِ

تسمين المواشي

ابنا في الجزء الماضي انواع العلَف المختلفة ونسبة بعضها الى بعض من حيث مقدار الغذاء الذي في كلٍّ منها وهاك فوائد اخرى من هذا القبيل

ما دامت المواشي صغيرة السن آخذة في النمو لا يُنتظر ان تسمن كثيرًا لان الغذاء يتحوَّل حينئذٍ الى انمائها ولذلك لا يكون من الحكمة ذبح العجول الصغيرة ولا محاولة تسمينها قبلما تبلغ السنة الثالثة من عمرها ولا محاولة تسمين حملان الغنم قبلما يمضي عليها الحول

وقد قابل السرجون لوز الغنم المسمَّنة قليلاً بالمسمنة كثيرًا وبغير المسمنة فوجد بينها الفروق التالية : لنفرض ان وزن الخرفان كان الف رطل فوزن ما فيها من اللحم والدهن والاحشاء كما ترى في هذا الجدول

	غير المسمنة	المسمنة قليلاً	المسمنة كثيرًا
وزن الكرش وما فيهِ	٩١ رطلاً	٧٠ رطلاً	٥٦ رطلاً
المصارين وما فيها	٥٣ ″	٣٨ ″	٢٨ ″
الشحم	٤٥ ″	٦٠ ″	٧٥ ″
القلب والكبد والرئة والطحال والدم	٨٤ ″	٧٧ ″	٦٥ ″
بقيَّة الفضلات	١٧٩ ″	١٦١ ″	١٣١ ″
اللحم والدهن	٥٣٤ ″	٥٨٧ ″	٦٤١ ″
الخسارة بالتبخُّر	١٤ ″	٧ ″	٤ ″
والجملة	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان التعليف يزيد لحم الحيوانات ودهنها وشحمها بالنسبة الى مجمل وزنها فاذا رأينا خروفين وزن كلٍّ منهما مئة رطل مصري واحدهما معلَّف والآخر غير معلَّف فالمعلَّف فيهِ من اللحم والشحم والدهن ٧١ رطلاً وغير المعلَّف فيهِ منها ٥٧ رطلاً فاذا بيع غير المعلَّف بسبعة وخمسين غرشًا وجب ان يباع المعلَّف بواحد وسبعين غرشًا هذا اذا فرضنا ثمن الرطل من اللحم السمين مثل ثمن الرطل من اللحم الهزيل واذا كان اللحم السمين اغلى من اللحم الهزيل كما هو الواجب فثمن الحيوان السمين يجب ان يكون مضاعف ثمن الحيوان الهزيل اذا تساويا وزنًا . وما يصدق على الغنم يصدق على البقر ايضًا

ثم ان معدة البقر وامعاءَها اثقل من معدة الغنم وامعائها بالنسبة الى وزنها فاذا كان وزن الغنم الف رطل ووزن البقر الف رطل فوزن معدة الغنم وامعائها اي كرشها ومصارينها نحو مئة رطل ووزن كرش البقر ومصارينها نحو ١٤٣ رطلاً ولذلك فمعدة البقر تسع اكثر من معدة الغنم بالنسبة الى وزنهما ولا بدَّ من ان يكون علف البقر كبير الحجم ليملأَ معدتها وامعاءَها وعلف الغنم كثير الغذاء لانها لا تستطيع ان تأكل كميَّة كبيرة منهُ

مستقبل الزراعة المصرية

ان حال الزراعة المصرية على ما يسرُّ الصديق ويسيءُ العدو لسببين كبيرين الاول انتظام الري والصرف والثاني غلاءُ الاسعار ولذلك ارتفع ثمن الاطيان جدًّا حتى ان الفدان الذي كان يباع منذ خمس سنوات باربعين جنيهًا او خمسين اصبح ثمنهُ الآن من ثمانين جنيهًا الى مئة وارتفع ايجارها على هذه النسبة تقريبًا فالفدان الذي كان يؤَجر باربعة جنيهات او خمسة صار يؤَجر بستة او سبعة

اما الري والصرف فامرهما ثابت او هو آيل الى زيادة الاتقان لان مياه الري ستزيد مقدارًا في ايام التحاريق بواسطة الخزان حتى تقصر المناوبات او تزول . وستنشأُ المصارف في كل مكان يحتاج اليها ولو دعت الحال الى انشاء مصرف كبير في لحف الجبل الغربي يمتدُّ من المديريات الوسطى الى بحر الروم

واما اسعار الحاصلات فامرها مجهول وهو محلُّ الخوف الشديد ولاسيما سعر القطن الذي عليهِ المعوَّل في ايفاء الاموال الاميريَّة وديون الفلاحين فان الاموال الاميرية التي توفى من ثمن القطن تبلغ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وجانب كبير من الاطيان التي اشتراها الفلاحون في الوجه البحري والمديريات الوسطى لا يزال مرهونًا في البنوك وعند الدائرة السنيَّة والدومين واقساط الرهن توفى من ثمن القطن ايضًا فاذا هبط سعرهُ عجز الفلاح عن ايفاء المال والدين لاسيما وان اجرة "الانفار" زادت اكثر من خمسين في المئة بارتفاع الاسعار ولا يمكن ان تعود الى حالها الاَّ تدريجًا واما سعر القطن فيمكن ان يهبط في شهر واحد عشرين او ثلاثين في المئة

وهبوط سعر القطن من الممكنات بل من المرجحات لان الذي رفعهُ في هذه السنوات الاخيرة وقوع العجز الكثير في محصول اميركا فاذا اتسعت مساحة الارض التي تزرع قطنًا هناك وزاد المحصول حتى بلغ ١٣ مليون بالة هبط سعر القطن الاميركي كثيرًا وهبط معهُ سعر القطن المصري. ولا يبعد ان يعود ثمن القنطار جنيهين لا غير. وقد لا يحتمل ان يهبط اكثر من ذلك

لشدَّة الحاجه اليهِ ولامتيازهِ الكثير على القطن الاميركي ولكن اذا بلغ ثمن القنطار جنيهين فقط فالاسعار الحاضرة للاطيان تصير غالية بالنسبة الى ثمن المحصول ولاسيما لان المصاريف لا تهبط بهبوط الاسعار. ويقع الفلاح في ضنك شديد لانهُ يضطر ان يدفع الاموال الاميرية واقساط دينهِ في اوقاتها من غير نقص

وواضحٌ ممَّا تقدَّم ان المالك الذي لا دين على اطيانهِ لا تسوءُ حالهُ كثيرًا بهبوط الاسعار لان غاية ما ينتج عن هذا الهبوط ان الفدان الذي يبلغ ايجارهُ الآن ثمانية في المئة من ثمنهِ الحاضر يصير ايجارهُ خمسة في المئة لا غير ولكن الضرر الكبير يقع على المالك الذي على اطيانهِ دين رباهُ ستة او سبعة في المئة فان ايجار اطيانهِ لا يعود يكفي ربا الدين فتحجز وتباع بثمن بخس

هذا الامر يراهُ جليًّا كل من يبحث في حالة البلاد الاقتصادية ويلوم الذين غالوا في اسعار ما يشترونهُ من اطيان الدائرة السنيَّة والدومين حتى صار يخشى عليهم من الافلاس اذا هبطت اسعار الحاصلات او تلف المحصول سنة واحدة لسبب من الاسباب

فوائد التوت

ابنا في النبذة السابقة ان الاعتماد على القطن وحدهُ لا يخلو من خطر كبير على اهل الزراعة اذا هبطت اسعارهُ كما يرجح ان تهبط اذا جاد موسم اميركا. ومعلوم انهُ لا يصح الاعتماد على غير القطن من الحاصلات التي لا سوق لها في غير القطر المصري او التي ثمنها رخيص بالنسبة الى ثقلها فيضيع جانب كبير من ثمنها الذي تباع بهِ في اجرة نقلها. واول شيءٍ يخطر على البال اهمال المصريين لزرع شجر التوت وتربية دود الحرير لاسيما وانهُ يمكن ان يزرع جانب كبير من الشجر حول المصارف والمساقي وعلى حدود الاطيان فلا تشغل الارض. ويظهر باقل حساب انهُ يمكن ان يزرع حول كل مئة فدان وعلى جوانب ترعها ومصارفها وسككها نحو الفي شجرة من شجر التوت ويربَّى عليها الفا درهم من بزر القز يكون حاصلها باقل التقديرات خمسة آلاف اقة ثمنها نحو ٦٠٠ جنيه يعطى نصفها للشركاء الذين يربون الدود فيبقى منها للمالك نحو ثلثمئة جنيه في السنة وتبقى زراعة الاطيان على حالها. فهذا ربح كبير لا يقلُّ عن ربح القطن ولا يخشى على الحرير من الكساد

ثم ان من شجر التوت فائدتين اخريين الاولى ان ورق التشارين وجزَّة القز علَف جيد للمواشي يغنيان عن البرسيم حين لا يكون البرسيم ويغلو ثمن العلف. والثانية ان قضبان التوت وقود جيد جدًّا تغني عن حرق الجلَّة وعن الفحم الحجري ايضاً فتوفر السباخ البلدي وثمن الفحم

وحبذا لو اهتمَّت الحكومة بعضد الذين يزرعون التوت كأَن تعفيهم من بعض الضرائب او تسهل لهم سبل زرعهِ بوسائط اخرى لانهُ ما من بلادمن البلدان الاَّ وانفقت اموالاً طائلة على ادخال تربية دود الحرير اليها

القمح ونيترات الصودا

ابان السر وليم كروكس في خطبتهِ الشهيرة التي خطبها لما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني ان آكلي القمح سيزيد عددهم اكثر مما تزيد غلتهُ فيغلو سعرهُ جدًّا ما لم يلجإِ الناس الى واسطة يزيدون بها غلة الارض وقال ان هذه الواسطة ميسورة وهي سمد الارض التي تزرع قمحاً بنيترات الصودا وانهُ اكتشف اسلوباً كيماويًّا لعمل المقادير الكبيرة من نيترات الصودا حتى يرخص ثمنها ويسهل استعمالها سمادًا

وقد امتحنت مصلحة الدومين نيترات الصودا في بعض الاراضي الضعيفة في الوجه البحري بناحية دمرو فسمدت ١٨ فداناً و ١٨ قيراطاً بنيترات الصودا و ١٨ فداناً و ١٨ قيراطاً بالسباخ البلدي وابقت ١٨ فداناً و ١٨ قيراطاً من غير تسميد فكانت غلَّة كل قسم منها من الحنطة والتبن كما ترى في هذا الجدول

	المسبخة بنيترات الصودا	المسبخة بالسباخ البلدي	غير المسبخة
قمح	١٠٠ اردب و ١٦ ربعاً	٧١ اردبًّا	٦٧ اردبًّا و ١٩ ربعاً
تبن	٥ احمال و ٧٤ اقة	٣ احمال و٩٢ اقة	٣ احمال و ٦١ اقة
فغلة الفدان قمحاً	٥ ارادب و ٨ ارباع	٣ ارادب و ١٨ ربعاً	٣ ارادب و ١٤ ربعاً

وكانت هذه الاطيان سباخاً فأُصلحت منذ بضع سنوات وغُسل الملح منها وفي طينها قليل من الرمل والجير وكان نيترات الصودا الذي استُعمل طنين بلغ ثمنهما الفي غرش وقد مزج قبل استعمالهِ بخمسة وخمسين قنطارًا من طمي الترع وسمدت الارض بهِ في ٢٧ يناير

اما السباخ البلدي فبلغ احد عشر مترًا مكعباً لكل فدان واضيف الى الارض في ٢٧ و ٢٨ يناير ورويت هذه الارض والارض الاولى بعد تسميدهما

وبلغ ثمن نيترات السودا ونفقات التسميد بهِ ١١٣ غرشاً لكل فدان واذا حسبنا ثمن الاردب من الحنطة ٩٠ غرشاً وثمن حمل التبن ٣٠ غرشاً فتكون الزيادة في غلَّة الفدان المسمَّد ٢١٩ غرشاً يطرح منها ثمن السماد واجرة استعمالهِ فيبقى من استعمالهِ ١٠٦ غروش ربحاً . اما السباخ البلدي فلم يظهر من استعمالهِ ربح يذكر

وجرَّبت الجمعيَّة الزراعيَّة نيترات الصودا سماداً للقمح الهندي وذلك في ارض الجيزة وفي ميت الديبة فكانت غلة الفدان المسمَّد في الجيزة ٨ ارادب وغير المسمد ٦ ارادب و١٠ كيلات وغلة الفدان المسمد في ميت الديبة ٤ ارادب و٣ كيلات وغير المسمد ٣ ارادب . وكان ثمن سماد الفدان في الجيزة ثمانين غرشاً والزيادة في المحصول من القمح والتبن ١٢٥ غرشاً . وثمن سماد الفدان في ميت الديبة ٩٠ غرشاً والزيادة في المحصول من القمح والتبن ١٤٣ غرشاً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كتاب شكر الى القمر

انت ايها القمر وصفك قبلي الواصفون وتغنَّى بمديحك الشعراء والمغنون قديم العهد باخبار المحبين رقيق القلب ترثي لشكوى العاشقين صبوح الوجه طويل الاناة وقد خلقك ربي فابدع واحلَّك من سمائهِ المحلَّ الارفع تبدّد غياهب الظلام وتشرح صدور الآنام وتكسو الارض حللاً من اللجين واثواباً من البهاء وترسل اشعتك ارواحاً من اللطف تطير فوق الارض وتلثم وجنات الماء وانت كوكب الليل ومثال الجمال صديق المحبين والشاهد على وعودهم وعهودهم طلوعك موعد لقائهم واكتمالك تتمة هنائهم وابتسامك غاية رجائهم تحدث مدًّا وجزراً في البحور ونبضاً وخفقاناً في القلوب والصدور فان قلت رفعك الله فقد سبقني الى الاجابة قبل الدعاء او قلت اطال بقاءك ارتفعت اصوات الالوف داعية لك بطول العمر فانت الطلق محياك الباهر سناك المرسل ضياك ولك الفضل والايادي البيضاء هنا وهناك

وليلة سارت بنا السفينة في تلك البحيرة فشقت عباب الماء يدفعها النسيم الرقيق وهو يبثُّ في اذنيها لوعتهُ وجواهُ وسادت علينا السكينة فكانت سدًّا منيعاً يحول بين صفاء عيشنا وهموم الحياة وحاجزاً يفصل القلب الهائم عن احزان الكون وغرور هذا العالم لكن الظلام بسط علينا

جناحيهِ والظلام ثقيل الروح فما عتمتَ ان طلعتَ من وراء الافق بدرًا كاملاً فاخذتهُ الرعدة واستولى عليهِ الخوف فضمَّ جناحيهِ وطار الى بلاد العتمة والموت فابتسم ثغرك وانار محيَّاك فرقصت الامواج طربًا وترنحت السفينة اعجابًا وخفقت القلوب سرورًا كانما انت توحي اليها آيات الحب الصحيح وتنزل عليها منَّ الطهارة والسلام . وهبَّ الطير والسمك ذاك من اوكارهِ وهذا من الاعماق وتسابقا الى تحيتك وكأنما الكرى ابى منازلتك وقد عودتهُ الهزيمة من قبل فلم يجسر على الدنوّ منَّا وانت لهُ بالمرصاد خلقك ربي رحمة لعبادهِ تهدي الضالين وتنير سبيل التائهين وتشرح صدور المكروبين وتصعد بنفوس المحبين الى حيث يطيرون بعيدين عن ارجاس هذا الكون فتنزلهم في منازل الحياة والنور

وما انسَ لا انسَ منطقة النور التي القيتها علينا ضافية الذيل فافترشت الماء بعدنا تتقلب عليهِ وتنعكس عن سطحهِ الوانها بين زمردٍ وياقوت وفيروز واشكال الجواهر المصوغة منها ابواب السماء

ولا يقلقك ما يقولهُ فيك الفلكيون من انك عالَم بارد لا حياة فيك ولا روح فانما يقولون هذا القول وهم وقوف امام نظاراتهم يرصدون الافلاك أرأيت لو وقفوا وقفة المحبّ المفتون اذًا لنسوا جميع ما قالوهُ وكتبوهُ ورجعوا الى قولنا انهُ الصواب والقول الحق

وقالوا ان نورك مكتسب مستعار لافضل لك فيهِ فقلتُ انهُ الكرم بعينهِ تأخذ الشيءَ من معدنهِ فتجود بهِ اجمع بعد ان تجيد سبكهُ — انكار الذات وحبّ السوى والرفق بنوع الانسان صفات لو تمثلت في جسم امرءٍ لالهَّهُ الناس وعبدوهُ واتخذوهُ دون الاله ربًّا

ويعجبني منك هذا الثبات فالشمس يحرق حرها في الظهيرة ويضعف نورها في المساء وتبتلينا بمعمعان ناجر في الصيف وتذيقنا بلاء البرد في الشتاء امَّا انت فلا تحول عن جوهرك اللطيف وانما هي اشكال اتخذتها هلالاً وبدرًا وربعًا وكذلك نصف الناس حب تبديل اشكال وتغيير ازياء

أرأيت لو اجتمعت انت والحبيب على جدول ماءٍ يجري صافيًا كالبلور وجاء النسيم يستطلع الخبر وغضَّ الصفصاف طرفهُ اذًا لقلت ذاك نعيمي وتلك جنتي وفي الارض جنات تجري من تحتها الانهار

فتقبل شكر معترف بفضلك حافظٍ لجميلك داعٍ لك بالسلامة وطول العمر فبسلامتك هناءُ المحبين ولا زلت مرفوع القدر عالي المنزلة فانهُ فضل ربك يؤْتيهِ من يشاء

المخلص لك

خليل ثابت

التواريخ العربيَّة

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

في الجزء الحادي عشر من مجلد المقتطف السابع والعشرين مقالة تحت هذا العنوان لناسج بردها حضرة الفاضل المدقق محمد افندي كردعلي بيَّن فيها التواريخ العربيَّة وما انتابها من المؤَثرات التي جنحت بالمؤَرخين الى تسطير التاريخ بين المحاباة والمداجاة فانطمست معالم الوقائع الحقيقية في كثير من العصور واقيمت على اطلالها مدعيات كلها افك وتمويه — ذلك لِمَا كان لاولياءِ الامر من السلطة والحجر على حرية المؤَرخين فلا يدعونهم يكتبون الَّا لجانبهم فضلاً عن تشيع المؤَرخ نفسهِ لبني جنسهِ وتعصبهِ ضدّ الاجانب ونسبة كل مذمةٍ اليهم . وفي عرفنا ان لهاتين الصفتين(سلطة الامراء وتعصُّب المؤَرخ) قوة كافية لقلب الحقائق التاريخيَّة وتشويه وجه التاريخ بالبطل . على ان انوار التمدن الحديث قد اجلت عن بني الانسان سحب الجهالة وازاحت بيدها القوية كل شين تسلط عليهِ القرون الطوال واقامت على ربوعهِ الحرية والعدل والبست العلم ثوبًا صفيقًا لا يبلى ولئن كان للمؤَرخين القدماء عذرٌ لائتمارهم بالامر القوي في تدوين الوقائع التاريخية حسب الاهواء والاغراض فاي عذر يجنح اليهِ مؤَرخ العصر وقد انفكت قيود استعبادهِ بفضل الحرية وتخلص عقلهُ من حبوس التمسك باهداب المعتقدات القديمة بفضل الفلسفة الحديثة والعلم الحق فصار في مكنتهِ الآن ان يسطر الحوادث على علاتها لهُ وعليهِ كأَنهُ لا يكتب عن وطن ولا جنسية بل عن الايام وابطالها وحوادثها

والمنعم النظر فيما كتب من التواريخ منذ قرن مضى يرى ان منهاج التأليف القديم انتسخت صورتهُ الَّا في بعض مسائل اختلف في حقيقتها إما دفعًا لتهمة او تلطيفًا ومراعاةً للجانب . كما اختلف الرواة في شأن معاملة نابوليون ابان اسرهِ في جزيرة القديسة هيلانة . او كما اغفل المؤَرخون ايراد السبب الجوهري في عزل اسماعيل باشا الخديوي الاسبق . فقالوا ان ذلك لاستدانة الملايين وانفاقها بغير حساب على اصلاح القطر وضربوا صفحًا عن هوَّات استهلاك هذه القناطير المقنطرة ممَّا يعلمهُ الخاص والعام حتى خافت اوروبا على ضياع اموال رعاياها فبادرت الى رتق الفتق واستخفاف اهون الضررين فقررت عزلهُ

اما رؤْية الجرائد اليومية السياسية فليست بموضع ثقة لانها انما جعلت لتعضيد الاحزاب واخفاء مقاصد الدول فلا يعتمد على مروياتها المؤَرخ الثقة الَّا بعد التثبت والتدقيق . ففي اخبار روتر الواردة على اسرى البوير ارقام لو جمعناها لساوت ضعفي سكان الترنسفال والاورنج فضلاً عن تضارب اقوال الصحف عن وقائع الحرب وتدبيراتها . ويظهر ذلك باكثر وضوح

كلمات الجرائد العربية على مبلغ الدولة العثمانية في الوقت الحاضر ويكاد بعضها يرفعها الى السما كين فوق القرطاس وهي في نظر التاريخ ليست على شيء من ذلك . وخلاصة القول ان التاريخ نال سهماً وافراً من العناية والانصاف ولكنهُ لم يبلغ حد التمام حتى الآن

اسيوط اسكندر سعد الدمنهوري

نجاح اليابان الموهوم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما كتبت عن التواريخ العربيَّة اتيت بذكر عزل اسماعيل باشا على سبيل المثال — تلك الحادثة العظيمة التي غيرت اوضاع جملة دول ومكانتها في الوجود اتى بها بعينها احد مشتركي المقتطف الكرام استدلالاً على تمدن اليابان "الموهوم" . وكما قلتُ ويعرف كل مطلع على الحقيقة ان اوروبا لم تطمع اسماعيل باشا في استدانة اموالها على زعم ان مصر مقتدرة على السداد ولا هو ايضاً كان يجهل وخامة العقبى . ويقول الخبيرون انهُ لو صرف قوة زكائهِ في اصلاح القطر لاستطاع ذلك بدون ان يحمل مصر ديناً لا طاقة لها بهِ هذا من جهة . اما من جهة احتيال المرابين على المصري وتحسين الاستدانة في عينيهِ حتى يتوسع باكثر من دخلهِ فيقع تحت وطأة الدين وينتهي الامر بنزع املاكهِ منهُ واعطائها للاجنبي ملكاً حلالاً . نعم كان هذا الغرض يصح للادلة على مستقبل الياباني لو كانت درجتهُ في عالم الارتقاء العلمي والادبي والسياسي كدرجة المصري فيها وبمعنى آخر لو انفق الياباني من قوتهِ الاجتماعية اكثر مما يتحصل كما فعل ويفعل الشرقيون عموماً ؟

وظاهر للعيان ان دول الشرق المكونة من الدولة العثمانية على الاطلاق ومصر والفرس وبلاد الافغان والهند واضف الى ذلك مراكش وغيرها — كل هذه متباينة الاساسات التي يبنى عليها تقدم الشعوب وارتقائها ومتفاوتة القوة الادبية التي تؤهلها للدخول في مضمار الحياة وهب ان وُجد اثر من هذه القوة في امة فلن تقوى على الظهور في اظول حرجة توقف نموها او انها لا تستطيع مجاراة غيرها من القوى الفائقة كمصر والفرس مثلاً وبعضها تنازع الايام البقاء فهي في حشرجة الموت كاغلب ما ذكرنا اللهمَّ الاَّ اذا اخذت إخذ اليابان في تأسيس دعائم التمدن الحق والارتقاء الصحيح الخاليين من شائبة التقليد الاعمى والتفرنج المعيب . ونظن ان بشائر الحال تدل على سواد المستقبل الاَّ في مصر نوعاً اذ نشطت في اصلاح داخليتها وانماء ثروتها بفضل المرشدين وهي وان كانت في مقدمة امم الشرق تنوراً وتقدماً الاَّ ان حالتها

العموميَّة ادنى بمراحل عن اصغر امة متمدنة في اوربا . ويعجبني من المقتطف الزاهر ايراد البرهان تلو البرهان والحجة وراء الاخرى شأنهُ في كل مبحث يأتي بهما لا جزافًا ولا اختلاقًا بل "بشهادة الارقام ولا اصدق من شهادتها" كما قال في مقدمة مقالات "نبأٌ من اليابان" فاذا كان القول عن بلاد الميكادو ونجاحها مبالغًا فيهما فليأتني الواهم بمدرسة كليَّة عالية واحدة في كل مدائن الشرق يتخرج منها مهندسون رياضيون ميكانيكيون واساتذة طبيعة وفلاسفة في الآداب وضباط بحريون وقواد مجربون من ابناء البلاد يخدمونها بعلومهم واختراعاتهم ويستغنون عن الاجانب كما استغنت اليابان . او ليقل لي عن شركة واحدة او مصرف واحد او سفن ملاحة للاهالي تمخر البحار وتقطع المسافات الشاسعة حاملة مصنوعات البلاد ومتاجرها كما لليابان

افبعد ذلك نقول ان اليابان في غفلة عما تجهزهُ لها ايدي اوربا من الاطماع والآمال الممزوجة بالسم الناقع لتميت حياتها القومية . وهم هم اليابانيون (كما ذكر المقتطف جزء ثامن مجلد سابع وعشرين) "لما رأوا مصر اضحت غنيمة للمداينين اوجبوا على حكومتهم سنة ١٨٧٣ ان لا تستدين غرشًا واحدًا من الاجانب"

فنهضة اليابان ونجاحها امران اكيدان صادقان فصارت دولة يرغب في ودها ويخشى جانبها وكل مرويٍ عنها لا مبالغة فيهِ البتة فجدير بالادباء والكتاب بعد ما عرفوا مبلغ اوروبا من الحضارة ومطامعها في بلادهم وحققوا نجاح اليابان واسباب ارتقائها ان يبحثوا عن مستقبل الشرق والشرقيين على قياس الحال

اسيوط اسكندر سعد الدمنهوري

باب الصناعة

الرخام الصناعي

حاول كثيرون من الصنَّاع عَمَل الرخام منذ زمن طويل ونجحوا في ذلك نجاحًا يكاد يحسب تامًّا لجمال ما صنعوهُ لكن الرخام الذي كانوا يصنعونهُ لم يكن خاليًا من العيوب فكانت الوان الملوَّن منهُ غير ممتزجة بعضها ببعض كما تكون الوان الرخام الطبيعي بل كانت جوانبها خطوطًا مستقيمة واطرافها زوايا حادَّة او منفرجة . اما الآن فقد استتبَّ لاحد الدنمركيين ان صنع رخامًا كالرخام الطبيعي تمامًا وثمن الملوَّن منهُ وغير الملوَّن واحد وهو يصنع منهُ الالواح والاساطين والاشكال المعرَّقة والمنقوشة وثمنهُ رخيص جدًّا عشر ثمن الرخام الطبيعي

نسج الياف الخشب

لما صُنع الورق من الخشب استغرب الناس ذلك اولاً ثم زال استغرابهم اذ تبيَّن لهم ان الورق صُنع من الخشب قبلما صُنع من القطن والخرق لان القرطاس المصري كان يصنع من قدد تشقُّ من سوق الحلفاء . والآن استنبط الالمانيون استنباطاً ادهش العالم وهو انهم صنعوا من الخشب اليافاً تُغزَل وتنسج مثل القطن والكتَّان وهذا ايضاً على غرابتهِ لا يخلو من بداية قديمة فان الناس طالما سلخوا لحاء الاشجار وضفروهُ او نسجوهُ وما الكتَّان والقنَّب والرامي والسيسل سوى الياف سوق النبات لكن ما صنعهُ الالمان الآن بعيد عن ذلك فانهم حوَّلوا الخشب الى الياف دقيقة كالياف القطن وغزلوها كما يغزل القطن والكتان ونسجوها كما ينسجان وثمن هذه الالياف رخيص لا يبلغ ثلث ثمن القطن لكنها قصيرة جدًّا لا يبلغ طول الليفة منها سنتيمترًا فلا تكون الخيوط التي تغزل منها متينة ولذلك لا ينسج منها الاَّ المنسوجات التي لا يراد ان تحتمل شدًّا كثيرًا كالبسط واغطية الاثاث . واذا امكن مزجها بالياف القطن او الكتان اكتسبت المتانة التي تنقصها الآن

تسويد الخشب

لصبغ الخشب صباغاً اسود ثابتاً طرق مختلفة اشهرها الطرق التالية

الاولى . خذ ١٢ درهماً من خلاصة البقَّم واسحقها واغلها في ٤٧٠ درهماً من الماء حتى تذوب واضف الى المذوب درهماً من كرومات البوتاسا الاصفر . فهذا السائل يسوِّد الخشب ويمكن ان يكتب بهِ على الخشب فتظهر الكتابة سوداء ثابتة

الثانية . اغلِ رطلاً من خشب البقم في رطلين من الماء ساعة من الزمان وادهن الخشب بهذه الغلاية واذب اوقية من كبريتات الحديد (الزاج) في ماء فاتر وادهن الخشب بهِ فوق ماء البقم وجففهُ في الخلاء فيسود حالاً

الثالثة . اغلِ تسع اواقي من العفص ورطلين وربع من خشب البقم في رطلين وربع من الماء في اناء من النحاس ساعةً من الزمان . ورشح الغلاية بخرقة وادهن بها الخشب مرارًا وهي سخنة فيسود ويكون لونهُ جميلاً

نقل الصور على الخشب لحفرها

ادهن الصورة المطبوعة بقليل من ماء البوتاسا حتى يلين حبرها ثم ابسطها على قطعة الخشب واضغطها ضغطاً شديدًا فترسم الصورة على الخشب ويسهل حفرها عليهِ

الصاق قطع الباغا

تلصق قطع الباغا اي الدبل او عظم السلاحف بان تضع القطع بعضها فوق بعض او بعضها بجانب بعض مجتهدًا لكي تكون عروقها متجهة اتجاهًا واحدًا ثم لفها بورقة وضعها بين قطعتين من الحديد المحمى واضغطها بهما جيدًا ويجب ان لا يكون حمو الحديد شديدًا لئلا يحرق الباغا فتلتصق القطع بعضها ببعض وتصير كأنها قطعة واحدة ويمكن تليين القطع الصغيرة بوضعها في ماء سخن ثم تلصق بعضها ببعض بالضغط الشديد في المكبس المائي

الغليسرين للسن بدل الزيت

يفضل كثيرون استعمال الغليسرين للسن بدل الزيت لانهُ انظف من الزيت واصلح وذلك بان يمزج ثلاثة اجزاء من الغليسرين بجزء من الالكحول بوضع هذا المزيج على المسن بدل الزيت

باب التقريظ والانتقاد

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثاني

لمّا صدر الجزء الاوَّل من هذا الكتاب الجليل رحَّبنا بهِ لانهُ اول تاريخ عربي لم يكتفِ بسرد الحوادث بل حاول ردها الى عللها وايضاح الغامض منها وتمحيص ما كثرت شوائبهُ لبعد عهدهِ وتصرُّف النقلة فيهِ. وقد اقترحنا على حضرة المؤلف حينئذٍ ان يراجع تواريخ الروم والفرس الامتين اللتين اتصل العرب بهما اولاً ويقابل تاريخ العرب بها لزيادة التدقيق والتحقيق فاحلَّ اقتراحنا محلهُ وقال في هذا الجزء ”طلبت اليَّ مجلة المقتطف ان اوسع النظر في تواريخ الغربيين واستقصي منها حالة دولة الروم على عهد الفتح الاسلامي لاتوسَّع في بيان العلل والاسباب التي اوجبت قهر تلك الدولة بواسطة الجيوش العربيَّة . وفي الحقيقة فان هذا الامر من الامور الجديرة بتدقيق المؤرخين الخليقة بالنظر والتأمل لهذا راجعت اشهر التواريخ الافرنجيَّة التي كتبت عن العرب والروم في ذلك العهد كتاريخ الامبراطوريَّة الشرقيَّة لادورد جبون الانكليزي وتاريخ العرب للمؤرخ الفرنسوي ديفرجي“. وقد ظهرت نتيجة هذه المراجعة في كثير

من فصول هذا الجزء فنشكر لحضرة المؤلف الفاضل بلسان قراء العربية همتهُ الشماء في المطالعة والتنقيب حتى يكون كتابهُ بالغًا غاية ما يمكن الوصول اليهِ الآن من تمحيص الاخبار

ويعجبنا من المؤلف استنتاجهُ القضايا الكلية ومجاهرتهُ بها ولو ثقل سماعها على الذين في نفوسهم مرض من ذلك قولهُ في الصفحة ٢٠٦

”هذا شأن الاسلام في المحافظة على حقوق الامم المغلوبة وقد رأيت مما تقدم انهُ لم يعطِ للمسلمين من حقوق الغلب التي ينتحلها الغالبون في كل عصر الاَّ ما تدعو اليهِ الضرورة القصوى وتستلزمهُ سلامة الملك والدين لا ما تدعو اليهِ شهوات الملك ورغبات الامة الغالبة وقد علم هذا المسلمون وخلفاؤُهم وان لاهل الذمة ما لهم وعليهم ما عليهم فبالغوا في الرأفة بأهل جوارهم والداخلين في ذمتهم من ارباب الملل الاخرى فتركوا لهم حرية التملك والدين ولم ينازعوهم حقًّا من حقوق المواطنة والجوار بل كانوا يعتبرونهم جزءًا من الدولة وعضوًا من اعضاء مجتمعهم لا غنى عن مشاركتهِ في العمل ومشاطرتهِ اسباب السعادة المدنية والحياة الوطنيَّة يؤيد هذا اعتماد الخلفاء الامويين والعباسيين على اهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج وترجمة علوم اليونان وتقريب النابغين منهم في علوم الهندسة والطب اليهم واعتمادهم في شفاء عللهم عليهم بل بلغ بالمسلمين اعتبارهم لاهل الكتاب عضوًا من جسم هيئتهم الاجتماعية لا يجوز فصلهُ في حال من الاحوال ان جيوش التتار لما اكتسحت بلاد الاسلام من حدود الصين الى الشام ووقع في أسرهم من وقع من المسلمين والنصارى ثم خضد المسلمون شوكة التتار في الشام ودان ملوكهم بالاسلام خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية رأس العلماء في عصرهِ امير التتار قطلوشاه باطلاق الاسرى فسمح لهُ بالمسلمين وابى ان يسمح لهُ باهل الذمة فقال لهُ شيخ الاسلام : لا بدَّ من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ولا ندع اسيرًا لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة فاطلقهم لهُ

”وكيف لا يقوم علماء المسلمين وخلفاؤُهم بحماية اهل ذمتهم وقد استوصى بهم النبي صلى الله عليهِ وسلم امتهُ خيرًا وكذلك الخلفاء الراشدون من بعدهِ كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب وكما سترى بعد. ونحن ننقل اليك هنا على سبيل الاستطراد ما جاء في كتاب كتبهُ عمر بن الخطاب (رض) الى عمرو بن العاص عاملهِ على مصر وهو قولهُ

” واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانهُ قال تبارك وتعالى في كتابهِ (واجعلنا للمتقين اماماً) يريد ان يقتدى بهِ وان معك اهل ذمة وعهد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بهم واوصى بالقبط فقال ” استوصوا بالقبط خيرًا فان لهم ذمة ورحمًا ” ورحمهم ان

أُم اسماعيل منهم وقد قال صلى الله عليهِ وسلم " من ظلم معاهدًا او كلفهُ فوق طاقتهِ فانا خصمهُ يوم القيامة ". احذر يا عمرو ان يكون رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لك خصمًا فانهُ من خاصمهُ خصمهُ . والله يا عمرو لقد ابتليتُ بولاية هذه الامة وآنست من نفسي ضعفًا وانتشرت رعيتي ورق عظمي فأسأل الله ان يقبضني اليهِ غير مفرّط . والله اني لأخشى لو مات جمل باقصى عملك ضياعًا ان أُسأل عنهُ يوم القيامة "

وقد انكر المؤلف القصَّة التي تداولتها تواريخ الافرنج وذُكرت في تاريخ سوريَّة وفي تاريخ الوافي وهي ان خالد بن الوليد لحق بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم . وقال انهُ بحث عن هذا الخبر في ما دوَّنهُ رواة الاخبار من المتقدمين كالطبري والبلاذري وابن واضح المعروف باليعقوبي وفي تواريخ المتأخرين كابن الاثير فلم يجد لهذا الخبر من اثر

وقد رأينا المؤلف يستشهد كثيرًا بتاريخ الواقدي فتوح الشام فلو تصفَّحهُ جيدًا لوجد الخبر فيهِ وهو في النسخة التي عندنا في الصفحة ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ وخلاصة ما فيها ان خالدًا اخذ عساكر الزحف وهم اربعة آلاف فارس ويونس الدليل امامهم وتبع آثار القوم الى ان اقبل عليهم فقسم اصحابهُ اربع فرق فامَّر ضرار بن الازور على الف فارس وعلى الالف الثاني رافع بن عميرة الطائي وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وبقي هو في الفرقة الرابعة وهاجمهم وظفر بهم وغنم ما معهم . وقد فصَّل الواقدي هذه الحادثة بالاسهاب في خمس صفحات كبيرة . ومن يطالع تاريخ الواقدي يجد فيهِ امورًا كثيرة مدخلة لكن هذا الخبر ليس اغرب من كثير من الاخبار الواردة في هذا الكتاب وان كان مقحمًا فيهِ فلا يبعد ان يكون غيرهُ من المؤرخين قد اشار الى ذلك . فعسى ان يزيدنا المؤلف الفاضل تحقيقًا . ونتمنَّى ايضًا ان يزيد اعتناؤهُ بطبع الاجزاء التالية حتى لا يقع فيها من الخطإ المطبعي ما وقع في هذا الجزء

واكثر من ثلث هذا الجزء في المواضيع الادارية والاقتصاديَّة وممَّا جاء فيها ان دفاتر الحكومة كانت تكتب بالرومية في الشام وبالفارسية في العراق الى عهد عبد الملك بن مروان في الشام والحجاج بن يوسف في العراق وهو امر حريٌّ بالنظر

والكلام في هذا الجزء مقصور على خلافة الامام عُمَر بن الخطاب وما جرى في عصرهِ من الفتوح الَّا ان المؤلف اوجز كثيرًا في الكلام على فتح مصر فاوردهُ في اقل من صفحتين مع ان فتح الشام شغل نحو سبعين صفحة في هذا الجزء وحبذا لو عاد الى فتح مصر فوفاهُ حقَّهُ من الشرح في جزءٍ تالٍ

العربيَّة والقبطيَّة

لما نزل العرب هذا القطر وقت الفتح كانوا فئة صغيرة وظلوا كذلك والقبط اكثر منهم عددًا واوفر عمرانًا الى ان دان اكثرهم بالاسلام وامتزجوا بالعرب ومن نزل هذا القطر بعدهم من الامم الغالبة فأُهملت اللغة القبطية ولكن بعد ان بقي اثرها في اللغة العربيَّة في النبرة الخاصَّة باللغة المصريَّة وفي كثير من الالفاظ التي نظنها عربيَّة وهي قبطيَّة الاصل . وقد عني حضرة الاديب اقلاديوس افندي لبيب بجمع كثير من الكلمات العربيَّة العاميَّة التي اصلها قبطي ونشر بعضها الآن في كراسة صغيرة ووعد بنشر باقيها اذا وجد من يعاونهُ على نشرها . وقد عانى في جمعها مشاق كثيرة مدة اثنتي عشرة سنة فاستحق شكر محبي المعارف واظهار الحقائق

ومن الالفاظ التي قال ان اصلها قبطي كلمة ”حالوم” في قولهم ”حالوم يا جبنه حالوم” فان حالوم او هالوم اسم الجبن بالقبطيَّة

وكلمة ” ياما ” وهي قبطيَّة معنا كثير او وافر

وكلمة ” اش ” وهي حرف استفهام مثل ما او ماذا

وكلمة ” بعبع ” وهي اسم عفريت مصري استعمل في العزائم السحريَّة وتخويف الاولاد

وكلمة ” لقش ” وهي من ايلكشاي ومعناها استهزاء

وكلمة ” ادهى ” من ادهو ومعناها اردأ او اشر

وكلمة ” اوني ” في قولهم اوني اوني ياطاحون الرحاية فان معناها رحى

وكلمة ” طمس ” فان معناها بالقبطية دفن

وكلمة ” يم ” فان معناها بالقبطية بحر

وكلمتا ” كاني ماني ” في قولهم كاني ماني ودكان زلبكاني فان معناهما سمن وعسل

وكلمة ” لبان ” معناها بالقبطية حبل وتستعمل الآن للحبل الذي تُجَرُّ بهِ المراكب

وكلمة ” ليلي ” المستعملة كثيرًا في الغناء معناها بالقبطية فرح

وكلمة ” مدمس ” هي بالقبطية متمس اسم الفول الناضج في الفرن

وكلمة ” نافله ” في قولهم دا كله نافله ما ينفعش معناها بالقبطية باطل

وكلمة ” شويًّا ” قبطيتها اشون معناها قليل وتطلق على اصغر الحبوب

وهلمَّ جرًّا من الكلمات الكثيرة الفصيحة والعاميَّة فقد ابان حضرة المؤلف ان اصلها قبطي وحبذا لو لقي من نظارة المعارف المصريَّة تعضيدًا لنشر كل ما جمعهُ من الكلمات فان نشر كتاب مثل هذا لا يقوم بهِ الَّا الحكومة او الجمعيات التي تنفق على نشر الحقائق العلمية

آثار لبنان

او تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للاب هنري لامنس اليسوعي

لقد طالما تمنينا ان يبحث احد علماء العاديات عن آثار لبنان القديمة ويشرحها شرحاً وافياً عساهُ يرغّب سكانها في الاحتفاظ بها ويرغّب غيرهم في مشاهدتها ولذلك سررنا بهذا الكتاب الذي وضعهُ احد الاباء اليسوعيين لاننا رأينا في كل صفحة منهُ دلائل البحث والتحقيق فقد جمع الكاتب زبدة ما قالهُ الباحثون في آثار لبنان الى ما رآهُ وتحققهُ بنفسهِ وافرغ ذلك كلهُ في قالب عربي محكم مجتنباً القطع في الحكم حيث لا يرى الادلَّة قاطعة

وفي الكتاب كثير من صوَر الآثار المذكورة فيهِ لكن اكثرها غير جلي مع توفُّر رسم الصوَر الجليَّة وطبعها في هذا العصر . فنشكر لهُ همتهُ ونتمنى ان يكثر فيهِ من الرسوم المنقولة عن الصور الفوتوغرافية في الطبعة الثانية

المحيط

مجلة علميَّة تاريخيَّة صحيَّة ادبيَّة فكاهيَّة تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومنشئها حضرة الكاتب الفاضل عوض افندي واصف وقد وعد بان يبحث فيها عن سياسة القطر وعمَّا يتعلَّق بطلبة المدارس صغاراً وكباراً وعن عيوب التعليم في مصر واحدث الطرق المستعملة لاصلاح المدارس وعن صحة الابدان وانواع العلاج التي يلجأ اليها في غياب الطبيب . وعن العلاقة بين العلم والدين . وعن تاريخ شهيرات النساء وكل ما يتعلَّق بالبنات . وعن موارد الارزاق اي الزراعة والتجارة والصناعة والاستخدام

ووعد ايضاً ان ينشر فيها خلاصة ما تنشرهُ الجرائد والمجلات مدة الشهر واهم الحوادث الخارجيَّة والداخلية ورواية مختصرة في كل عدد ودليلاً يذكر فيهِ مواعيد سفر القطرات والبريد وايام السنة الى غير ذلك

وفي الجزء الاول الذي صدر الآن بحث في المجلات المصرية رغب فيهِ اليها ان تجعل لها صوتاً واضحاً في سياسة البلاد الداخلية ورأياً معدوداً في شؤونها الادارية ومباحثها الاجتماعية . وقد نسي ان اكثر الذين في يدهم الحل والعقد لا يقرأُون العربية او لا يفهمون منها الاَّ ماجاء على سبيل الخبر البسيط وان غرض المجلات الاول تنوير الامة ومساعدة المدارس على تعليمها ثم هي اذا ذكرت مسألة وطنية اجتماعية قلَّ ان لا تضطر الى انتقاد اعمال الحكومة فتمنع من دخول الولايات العثمانية وتفوت فائدة تلك الولايات منها وتضيع فائدتها من مشتركيها وهم

ليسوا بالعدد القليل او تضطر الى تحمُّل النفقات الطائلة لتصل اليهم . ولا ننكر مع ذلك ان بين المسائل الوطنية مجالاً واسعاً للمجلات العربيَّة لتخوض فيهِ وتفيد قراءها بهِ اكثر ممَّا تفيدهم بكثير من المقالات العلميَّة والفلسفيَّة التي تنشرها من وقت الى آخر

هذا واننا نتمنَّى لصاحب "المحيط" ان يوفَّق الى نيل ما يقصدهُ من نشر الفوائد وتعميم المعارف

الجغرافية الجديدة

New Geography *by Ahmed Hafez*

نتذكر حديثاً دار بيننا وبين احد قوَّاد الانكليز منذ نحو ١٨ سنة قال لنا فيهِ لو ان الاموال التي انفقتها انكلترا على حملة السودان انفقتها على تعليم اللغة الانكليزيَّة في هذا القطر لفازت باصلاح مصر والسودان ووجدت لها فيهما اعظم النصراء . ولم يخطر بالنا حينئذٍ ان الانكليز يهتمون بنشر لغتهم وان شبان مصر يقدمون هذا الاقدام على تعلُّمها حتى يؤلفوا فيها الكتب العلميَّة فان امامنا الآن كتاباً في الجغرافية وضعهُ حضرة الاديب احمد افندي حافظ باللغة الانكليزيَّة وهو يبتدئ مثل سائر كتب الجغرافية بالحدود والتعريفات لكنهُ لم يطل الكلام فيها بل انتقل الى القطر المصري حالاً واسهب الكلام فيهِ واستطرد منهُ الى بقية افريقية ثم انتقل الى سائر القارات فاوجز الكلام عليها واكتفى من وصف بيروت مثلاً بانها ناجحة جدًّا . والكلام على الولايات المتحدة الاميركية اوفى فيهِ من الكلام على تركيَّا . والكلام على برلين اوفي من الكلام على القسطنطينيَّة . وحبذا لو اسهب في الكلام على تركيَّا كما اسهب في الكلام على مصر

نيل الارب

في موسيقى الافرنج والعرب

وضعهُ حضرة الاديب احمد افندي امين الديك بحث فيهِ عن الموسيقى والصوت وانواعهِ ونغماتهِ بحثاً علميًّا وافرز فصلاً خاصًّا بالنوتة الشائعة عند الافرنج للدلالة على الاصوات وما يقترن بها من مدارج ومفاتيح وانواع العلامات الموسيقية وقيمها النسبية مستعملاً اسماءها الفرنسوية والموازين والحركة والدلالة عليها مستعملاً اسماءها الايطالية ومعرباتها وما يتبع ذلك من العلامات والاشارات

وتكلم عن العود واصلاحهِ مقابلاً بين النغمات العربية المعروفة والنغمات الافرنجية وبعد

ان تكلم عن المقامات اثبت شذرات في الموسيقى العربية فيها كلام عن العود القديم وحالة الموسيقى عند العرب القدماء وما اتصل بنا من اخبارها ثم قابل المقامات الافرنجية بالعربية

وقد اتى في القسم العملي على النظر في الغناء والتوقيع على الآلات الموسيقية على اختلاف اشكالها

والكتاب موضح بالرسوم الموسيقية وفيهِ صور كثير من الآلات المعروفة لكنَّ طبعهُ سقيم يتعب النظر وتنفر منهُ العين وهو كغيرهِ من الكتب الموضوعة لتعليم الموسيقى لا يغني الطالب عن معلم وانما يرجع اليهِ في استجلاء غامض او حلّ مشكل فنثني على حضرة المؤلف ونحث المولعين بهذا الفنّ على اقتناء كتابهِ لاسيما المحبين للموسيقى العربية

رسالة

هي رسالة في صمام نودون الكهربائي تلاها حضرة الدكتور عيد الطبيب المشهور في هذه العاصمة في مؤتمر الكهربائية الطبيَّة العام في برن عاصمة سويسرا وصف فيها هذا الجهاز وبين مزاياهُ في استحضار اشعة رنتجن وقلَّة نفقتهِ بحيث يتسنَّى لجميع الاطباء توليد هذه الاشعَّة بهِ وقد ادمجت هذه الرسالة في وقائع جلسات المؤتمر المذكور

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

بنات مصر والتعليم

كنا قُبَيْل كتابة هذه السطور نتكلم مع احد العلماء الاعلام عن مستقبل اهل الاسلام في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار . وهو غيور على امتهِ وملتهِ باذل اقصى جهدهِ في تنوير اذهانها وتعزيز اركانها يرى ان لا بدَّ لاصلاحها من معاول تهدم معاقل الخرافات والاوهام التي شادها اهل السيادة الدينية والسياسية لكي يتسلطوا بها على العقول . واتصل بنا الحديث والحديث ذو شجون الى نهضة الامة القبطية واندفاعها بتيَّار واحد نحو تعليم ابنائها وبناتها حتى لم تعد تكتفي بالمدارس المصريَّة والسوريَّة بل صارت ترسل ابناءها الى البلاد الانكليزيَّة ولا تطلب

معونة الحكومة في ذلك لعلمها ان مَن يتعلم على نفقة الحكومة قلما يفلح مثل مَن يتعلم على نفقتهِ. واخبرناهُ بما شاهدناهُ بالامس في احد الاعراس فاننا رأينا بنات الاقباط وبنات الافرنج في حفلة واحدة وليس بين الفريقين فرق لا في الثياب ولا في دلائل الذكاء والنجابة وحسن التهذيب البادية في الوجه ولا بدَّ من ان يكون هؤلاء الفتيات قد تعلمنَ وتهذبنَ في المدارس كما تعلَّم اخوتهنَّ. فاذا تزوجنَ بفتيان متعلمين متهذبين مثلهنَّ ناظرت بيوتهنَّ واولادهنَّ احسن العيال الاوربيَّة ولا تمضي سنون كثيرة على الامة القبطيَّة حتى تفوق غيرها من امم هذا القطر لانها اهتدت الى الطريق السوى وهو ان تعلّم بناتها كما تعلِّم ابناءها ولو اقتصرت على تعليم ابنائها دون بناتها لتعذَّر عليها الارتقاءُ المطلوب

فنظر ذلك العالم نظر المفكّر ثم تنهَّد وقال ها نحن آخذون المعاول لهدم معاقل الاوهام والخرافات التي شادتها العصور الغابرة حتى نعيد الى المرأة حقوقها التي خوَّلها اياها شرعنا ثم نعلمها ونهذبها لتعلّم لنا اولادنا وامتنا ولا نرتقي بغير ذلك

والظاهر ان هذا الاعتقاد اخذ يشيع في القطر الآن فتسابقت مدنهُ الى انشاء المدارس للبنات واخذت تفتش عن المعلمات وتعرض عليهنَّ الاجور الغالية حتى ان احد المديرين كتب الينا بالامس يطلب معلمة لمدرسة في مديريتهِ ووعد ان يدفع اليها راتباً لا ينالهُ احد الآن من الذين نالوا الشهادة الثانوية . واتانا آخر يطلب معلمة يعطيها اثني عشر جنيهاً في الشهر . واذا استمرَّت هذه النهضة لا تمضي سنوات كثيرة حتى يظهر لها اثر كبير في الهيئة الاجتماعية لكن يبقى عدد مدارس البنات دون المراد لقلة البنات المصريات اللواتي يرضين ان يكنَّ معلمات

فعسى ان تتجه الهمم من الآن الى ترغيب البنات في التعليم واقناع والديهنَّ وازواجهنَّ ان حرفة التعليم شريفة لا تشين امرأةً تكتسب بها بل تزيدها رفعةً في عيني زوجها وبين بنات جنسها

الطعام والغذاء

ترى العمَّال الذين يبنون البيوت او يرصفون الطرق جلوساً في الظهيرة فرقاً فرقاً وامام كل فرقة اناء من المخللات يغمسون خبزهم فيهِ او قطعة من الجبن يضعون منها في اللقمة اقل من فلقة الحمصة ويكتفون بهذا الطعام وهم اصحَّاء الاجسام اقوياء الابدان واهل الثروة والرفاهة يأكل الواحد منهم رطلاً من اللحم مع كثير من الخبز والجبن والفاكهة والحلويات ويشرب اللبن والشاي والقهوة والخمر وهو مع ذلك ضعيف ضئيل او سمين بدين ولكن لا قوة في عضلهِ ولا

متانة في اعصابهِ . يتضح من هذا باجلى بيان ان جانباً كبيرًا من غذاء الاغنياء يذهب سدًى لان اجسامهم في غنًى عنهُ ولو اقتصروا على القليل مماَّ يأكلون لما اعتلَّت ابدانهم بل لزادت صحة وقوَّةً

والاغنياء لا يهمهم الاكثار من الطعام والشراب من الوجه المالي بل هم لو استطاعوا ان يعودوا الى ما كان يفعلهُ الرومانيون وهو املاءُ بطونهم بفاخر الطعام ثم استفراغهُ واكل غيرهِ لمجرَّد التلذذ بالمآكل الطيبة لفعلوا ولكن الاواسط والذين دونهم الى ان تأتي الى الفقراء المعوزين يهمهم جدًّا امر ما يأكلون وما يشربون لانهم ينفقون الجانب الاكبر من دخلهم على طعامهم فاذا كان القليل من الطعام يبقي الجسم في صحتهِ وقوتهِ فالكثير منهُ اسراف مضرٌّ تدعو الحكمة الى اجتنابهِ

وقد بحث كثيرون من العلماء عن مقدار ما في الطعام من الغذاء ونسبة الاطعمة بعضها الى بعض من هذا القبيل وبحثهم لا يخلو من فائدة عمليَّة لكن ليس العبرة بمقدار الغذاء في الطعام كالعبرة بما تهضمهُ المعدة منهُ وما يغتذي الجسم بهِ منهُ فان الطعام الكثير قد يدخل المعدة والامعاء ويخرج منهما من غير ان يغتذي الجسم الاَّ بالقليل منهُ والطعام القليل قد يدخل المعدة فلا يكتفي بتقديم ما فيهِ من الغذاء للجسم بل يساعدهُ على الاغتذاء بغيرهِ من الاطعمة . ترى زيدًا يأكل رطل لحم ورغيفاً من الخبز فلا يزيد وزنهُ اكثر مماَّ يزيد وزن عمرو لو اكل ذلك الرغيف بدرهمين من الجبن لا لان في درهمي الجبن من الغذاء قدر ما في رطل اللحم بل لان الجبن يهيئُ النفس للاغتذاء كأَنهُ يهيج الاعصاب الحاكمة على الهضم والتمثيل فتدفع اعضاء الهضم والتغذية الى هضم الخبز كلهِ والاغتذاء بكل ما فيهِ من الغذاء

وخير قاعدة وضعت لمقدار الطعام الذي يكفي الجسم ولا يزيد على حاجتهِ ان يأكل الانسان متمهلاً ويمضغ طعامهُ جيدًا ويأكل الى حد الشبع ولا يزيد . ومع ذلك فمعرفة ما في الاطعمة المختلفة من انواع الغذاء ومقاديرها لا تخلو من فائدة لانها تساعد ربة البيت على اختيار الاطعمة الكثيرة الغذاء اذا كان ثمنها مثل ثمن غيرها مماَّ غذاؤُهُ اقل من غذائها فاذا كانت الاطعمة من الجذور كالبطاطس والبنجر والجزر واللفت فالوزن الذي يساوي ستين غرشاً من البطاطس يساوي من البنجر خمسة واربعين غرشاً ومن الجزر نحو اربعين غرشاً ومن اللفت نحو خمسة وعشرين غرشاً . وعليهِ اذا بيع قنطار البطاطس بستين غرشاً وجب ان لا يباع رطل اللفت باكثر من خمسة وعشرين غرشاً

واذا كان الطعام من الحبوب والقطاني كالقمح والذرة والارز والفول فهناك نسبة بعضها الى

بعض. اذا ساوى قنطار القمح ٢٧ غرشاً فقنطار الذرة الصفراء يساوي ٢٤ غرشاً. وقنطار الذرة البيضاء يساوي ٢١ غرشاً. وقنطار الارز يساوي ½ ٢٢ غرش . وقنطار الفول يساوي ٣٧ غرشاً . وقنطار العدس يساوي ٣٦ غرشاً . وقنطار الترمس يساوي ٤٥ غرشاً. وقنطار السمسم يساوي ٣٨ غرشاً . وقنطار الفول السوداني يساوي ٤٩ غرشاً . وقنطار التفاح والكمثرى لا يساوي غرشين ونصف غرش . وقنطار الكوسى والقرع واليقطين لا يساوي غرشين

لكن فائدة الطعام لا تقتصر على ما فيهِ من الغذاء بل على ما يستفيدهُ الجسم منهُ فقد يكون قليل الغذاء جدًّا كقطعة الجبن التي يستعملها الفقير اداماً يأكل بها خبزهُ كلهُ فان جسمهُ قد يستفيد منها اكثر ممَّا يستفيد جسم الغني المترفه من اكل حمامة او فرخة كما تقدَّم

نصائح لتقوية الشعر

(١) يغسل الشعر مرةً او مرتين في الاسبوع بماءٍ فاتر او بارد ثم يفرك جيدًا بمنشفة حتى ينشف ولا يحسن تنشيفهُ بغير ذلك

(٢) مشط الشعر وفركهُ بالفرشاة يقويانهِ ويجب ان تكون الفرشاة ناعمة وان يكون المشط خالياً من الكسور

(٣) يحسن ان تضع المرأة ملعقة صغيرة من الزيت المطيب في يدها مرةً في الاسبوع وتدهن بهِ شعرها من اصولهِ وتفركهُ بهِ جيدًا ثم تفركهُ بمنشفة حتى لا يبقى مبلَّلاً بالزيت . ولا يحسن فرك الشعر بالزيت كل يوم الاَّ في احوال نادرة جدًّا

(٤) يجب ان لا يُترك الشعر يطول كثيرًا فاذا زاد طولهُ تقصُّ اطرافهُ لان زيادة الطول تضعفهُ فيصير يسقط من نفسهِ . واذا جعل الشعر يسقط بكثرة وجب ان يحلق او يقصَّر كثيرًا

(٥) تمسح الحواجب كل يوم بفرشاة في جهة ميلها ويحسن ان تدهن مرةً او مرتين في الاسبوع بقليل من زيت الزيتون

اعمال النساء

اذا جلتَ في هذا القطر شمالاً وجنوبًا تجد اكثر النساء يساعدن رجالهنَّ في اعمال الزراعة المختلفة وفي البيع والشراء ويعملنَ اكثر الاعمال التي يعملها الرجال . واذا دخلت المدن والبنادر الكبيرة وطفت في بيوت الطبقة العليا من السكان وجدتَ النساء جلوساً لا يعملنَ عملاً يذكر وقد استولت عليهنَّ السآمة والضجر . وهذا شأن نساء الطبقة العليا في كل البلدان بل صار شأن نساء الطبقة الوسطى في الغالب

وقد رأى اهالي اوربا واميركا ان هذه الحال تعود على المرأة بالوبال وعلى نسلها بالضعف والاضمحلال فشجعوا المرأة على احتراف الحِرَف وتعاطي الاعمال المختلفة التي يتعاطاها اخوتهنَّ او ازواجهنَّ فدرس بعضهنَّ علم الطب وبرعنَ فيهِ ولاسيما اللواتي ذهبن الى بلاد الهند حيث يفضل السكان دخول الطبيبات الى بيوتهم على دخول الاطباء. ودرس بعضهنَّ فن الصيدلة حديثاً ويقال انهنَّ بارين الرجال ولا سيما في المستشفيات. ودرس بعضهنَّ طب الاسنان فبرعن فيهِ ولا مانع يمنع نجاحهنَّ ولا سيما اذا عالجنَ اسنان النساء والاولاد . وقد شاهدنا النساء مشتغلات بطب الابدان وطب الاسنان وبالصيدلة ايضاً وهنَّ بارعات فيها

واخذ النساء الآن يشتغلن بالتصوير الشمسي فبرعنَ فيهِ وهو صناعة جميلة شريفة

واشرف الصناعات صناعة التعليم ولا بدَّ لها من النساء ولاسيما اذا اريد تعليم الصغار . وما من بلاد نجح التعليم فيها وعمَّ اهاليها الاَّ بعد ان سُلِّم تعليم صغارها لنسائها

واذا شاءت المرأة ان يرتفع مقامها في الهيئة الاجتماعيَّة وتجد مسرَّة لاسآمة في الحياة لم ترَ لها بدًّا من مشاركة الرجال في عمل من الاعمال ولاسيما الاعمال التي لا تمنعها حالتها الطبيعية من تعاطيها

باب المسائل

(١) بكاء الاطفال

مصر . محمد افندي زكي يوسف. هل من دواء لعدم بكاء الطفل الرضيع وهل يجوز استعمال الخشخاش (ابو النوم) كما تستعملهُ النساء احياناً لاطفالهنَّ

ج لا يجوز استعمال الخشخاش مطلقاً اما بكاء الطفل فالغالب انهُ عادة يألفها فاذا احسنت مداراتهُ من حين ولادتهِ لم يعتد البكاء وقد يكون سببهُ مغص يصيبهُ او دبوس يشك في بدنهِ او نحو ذلك من الاسباب التي يسهل تلافيها

(٢) رجة الانفجار

مصر . نقولا افندي بدران . هل الرجَّة التي شعر بها سكان القاهرة وضواحيها على اثر الانفجار الهائل الذي حدث في مخزن البارود في القلعة ناتجة من فعل الانفجار نفسهِ او من قوة الصوت الناتج عنهُ

ج ان الانفجار هو تحوُّل مقدار صغير

من البارود الى غاز كبير الحجم في وقت قصير جدًّا ولنفرض ان حجم البارود كان قدمًا مكعبة وان الغاز الذي تكوَّن منهُ لمَّا احترق تبلغ مساحتهُ الفًا من الاقدام المكعبة فهذا المقدار الكبير من الغاز يطلب مكانًا يسعهُ فيدفع الارض والصخور والهواءَ في كل جهة فتندفع بسرعة ترتجف بها الارض وتتكسَّر الصخور ويتموَّج الهواءُ وهذه الحركة العنيفة تشعر بها الآذان صوتًا شديدًا ويصل تأثيرها الى الاماكن القريبة والبعيدة فترتج بها المنازل كما حدث في الانفجار المشار اليهِ

(٣) قاموس عربي مصوَّر

كفر الزيات . م . ج . أَلا يوجد قاموس عربي مصوَّر مثل قاموس لاروس أَوَ لا يمكن عمل قاموس مثلهُ

ج لا يوجد الآن قاموس عربي مصوَّر. وعمل قاموس مصوَّر يقتضي نفقة كبيرة لا تعوَّض الَّا اذا بيع منهُ الوف كثيرة من النسخ ولا ينتظر ان يباع منهُ الف نسخة في خمس سنوات. فاذا زاد عدد القراء كثيرًا كما ينتظر راجت بضاعة الكتب وسهل نشر القواميس المصوَّرة

(٤) تأثير الشيطان

ومنهُ . هل توجد ادلَّة علميَّة يثبت منها ان الشيطان يؤثر في عقول الناس

ج كلاَّ ولا ينتظر من العلم الطبيعي اثبات ذلك ولا نفيهُ لان البحث فيهِ ليس من موضوع العلم الطبيعي وكذا البحث عن سليمان الحكيم ليس من موضوعهِ لانهُ لا يبحث الَّا عمَّا يمكن اثباتهُ او نفيهُ بالامتحان

(٥) الفصد في الكوليرا

اتياي . محمد افندي العلواني . قرأت اليوم في جريدة البصير انهُ لمَّا اشتد فتك الهواء الاصفر في نواحي طبريَّة استعملوا لهُ عملية الفصد فصارت الوفيات واحدًا في المئة فهل ذلك صحيح وكيف تكون فائدة الفصد

ج يفيد الفصد في حالة الامتلاء لتخفيف الضغط عن القلب وقد ذكرنا ذلك في الجزء الثامن من مقتطف هذه السنة في الكلام على علاج الكوليرا اما كونهُ يفيد الى هذا الحد حتى تصبح الوفيات واحدًا في المئة فقط فلا نظنهُ صحيحًا

(٦) الاسكندر ذو القرنين

طنطا . نقولا افندي يارد قرأت في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ان الاسكندر ذا القرنين كان طول انفهِ ثلاثة اشبار وانهُ عاش الف سنة وكان معاصرًا لابرهيم الخليل فهل ذلك صحيح

ج اذا كان الاسكندر ذو القرنين هذا هو الاسكندر المكدوني كما هو المرجح فالصحيح من امرهِ ما كتبناه عنهُ في المجلد الثالث

والعشرين والرابع والعشرين من المقتطف وقد نشرنا هناك تاريخهُ بالاسهاب ويظهر منهُ انهُ كان مثل سائر الناس لا عيب في وجههِ توفي سنة ٣٢٣ وعمرهُ ٣٢ سنة وثمانية اشهر اي بعد ابرهيم الخليل باكثر من الف وخمسماية سنة

(٧) الفصد في الكوليرا

القدس . ع . ن طالعت في الجزء الثامن من المقتطف في ترجمة محمد علي باشا ان الكوليرا انتشرت في مصر سنة ١٨٣١ وكتب وكيل دولة الانكليز بالاسكندرية الى اخيهِ ان الفصد علاج لها ونصحهُ ان يفصد حالاً اذا اصيب بها وان لا شبهة عندهُ في ان ابنتهُ نجت بالفصد من الموت . وسمعت انهُ حينما وصلت الكوليرا الى دمشق عالجها اهالي محلة الصالحية بالفصد ولم يمت من المصابين المعالجين بالفصد عندهم احد فهل يشفي الفصد يا ترى

ج يشفي بعض الاحيان لانهُ يخفف الضغط عن القلب وقد ابنا ذلك في الكلام على علاج الكوليرا في الجزء الثامن من هذه السنة والصفحة ٧٩٨ وورد الى هذا القطر الآن ان الكوليرا تعالج في نواحي طبرية بالفصد فلا يموت من المصابين سوى واحد في المئة كما ترون في السؤال الخامس

(٨) علاج الكوليرا

ومنهُ . قرأت في باثولوجيَّة الدكتور ڤان ديك انهُ اصيبت كلاب وقطاط بالكوليرا من اكلها اطعمة ممزوجة بالمواد المبرزة من المصابين بها فلماذا لا يجرب الاطباء الفصد او غيرهُ من العلاجات في هذه الحيوانات بعد ان يطعموها مكروب الكوليرا

ج لقد جرَّبوا تجارب كثيرة من هذا القبيل ولكنهم لم يهتدوا حتى الآن الى دواءٍ يشفي دائماً ثم ان ما يصدق على الحيوانات لا يصدق على الانسان دائماً بل ان ما يفيد زيدًا قد لا يفيد عمرًا فلا تكفي التجارب في الحيوان . والعلماء الباحثون عن علاج يشفي من الكوليرا يطرقون كل طرق البحث ولا نظن انهم يغفلون عن امر فائدتهُ ظاهرة

(٩) كلمة التلبثي

اسيوط . اسكندر افندي سعد . ذكرتم في تعريب خطبة للسر وليم كروكس عن عالم الارواح في الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني والعشرين كلمة التلبثي اي الشعور عن بعد فهل هذه الكلمة عربيَّة او معرَّبة

ج اننا نحن عرَّبناها او نقلناها عن الاسم الذي وضع لهذا المعنى باللغات الافرنجيَّة وهو telepathy من تلي باليونانية اي بعيد وباثوس شعور

(١٠) معمل الورق

مصر . احد القرّاء . ايمكن ان ينشأ معمل لعمل الورق في هذا القطر وكم يلزم لهُ من المال حتى يصنع الورق الكافي لما يطبع في القطر من الكتب والجرائد

ج يمكن ان ينشأ معمل للورق في كل مكان وتختلف النفقات اللازمة لانشائهِ حسب كبرهِ وصغرهِ ونظن ان اربعين الف جنيه تكفي لانشاء معمل معتدل ولكن يتعذَّر علينا ان نجاري اوربَّا في ما يحتاج الى قوَّة بخاريَّة لان لا وقود عندنا ولا قوَّة مائيَّة . ثم ان المواد التي يصنع الورق منها غير موجودة في هذا القطر او لا يوجد منها فيهِ الاَّ الخرَق . والورق الذي يستعمل الآن مصنوع اكثرهُ من الخشب ولا بدَّ من جلب هذا الخشب من اوربا من بلاد النمسا او المانيا او اسوج ونروج فجلب الورق منها ارخص من جلب الخشب لعمل الورق منهُ

(١١) علموا بناتكم الطبخ

ومنهُ . لقد استحسنَّا ما نشرتموهُ في المقتطف تحت عنوان علموا بناتكم الطبخ والنفخ ولكن فاتكم ان تحثوا الطبقة العليا من الاهالي على اجتناب عادة قبيحة اقتبسوها من الاوربيين وهي تعليم بناتهم الرقص ومنعهنَّ عن الطبخ والنفخ لئلاَّ تسود ايديهنَّ فهل من طريقة تمنع اسوداد يدي الفتاة اذا طبخت طعامها بنفسها

ج ان الرقص عادة قديمة عند كل الامم والرقص الافرنجي لا يخلو من النفع اذا كان معتدلاً ولا يخلو من الضرر اذا افرط فيهِ . هذا من حيث الصحَّة اما من حيث الآداب العمومية فالذين يعتادونهُ لا يرون فيهِ شيئاً والاَّ ما استمرُّوا عليهِ الى الآن والذين يستعيبونهُ يسهل عليهم الابتعاد عنهُ لانهُ ليس من ضروريات الحياة ولا من لوازم الكياسة . اما منع البنات عن تعلُّم الطبخ مخافة اسوداد ايديهنَّ فضعف في الراي لاسيما وانهُ لا يتعذَّر على الفتاة ان تباشر كل اعمال منزلها بيديها من غير ان تسودَّا . غير ان الفتيات المترفهات عندهنَّ من الثروة ما يسهّل عليهنَّ استخدام من يطبخ لهنَّ ويجب على الاغنياء ان يستخدموا الفقراء لقضاء اعمالهم والاَّ انحصرت الثروة فيهم ولم تتوزع على غيرهم. والترف لازم لقيام الهيئة الاجتماعية كالاقتصاد لانهُ اذا اقتصد الاغنياء وعملوا كل اعمالهم باياديهم كالفقراء زادت ثروتهم وزاد الفقراء فقراً وهذا يزعزع اركان الهيئة الاجتماعيَّة

(١٢) سم الحامض الكربونيك

اسيوط . ديمتري افندي روفائيل . تكلمتم في احدى مقالات المقتطف عن الحامض الكربونيك وقلتم ان الذي يموت مختنقاً بهذا السم لا يشعر بالم . ولكن كثيرين يقولون انهُ لا بدَّ من حدوث آلام عصبيَّة شديدة قبل

الوقوع في حالة التخدير فالمرجو كشف الحقيقة

ج لا نتذكر اننا تكلمنا عن السم بالحامض الكربونيك لانهُ قلما يسمّ احد بهِ و يموت ولكن الذين يسمّون بمركبات الكربون يكون سمهم غالبًا الاكسيد الكربونيك وهم يشعرون اولاً بضيق الصدر وبانّ عصابة شادَّة على رؤُوسهم. هذا شعور الذين نجوا من الموت بهِ اما الذين ماتوا فلا نعلم كيف كانوا يشعرون

---

(١٣) رؤية الله

الاسكندرية . نجيب افندي جبرائيل نصرالله جاء في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين ما يأتي " فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلاً لانني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي " وقد جاء في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا ان " الله لم يرهُ احد قط " فكيف يفسر هذا التناقض الظاهر

ج يقول علماء التفسير ان الذي كان يراهُ الآباء في العهد القديم هو المسيح وانهُ كان يظهر في الجسد

---

(١٤) تعليم المتزوجة

مصر . مصطفى افندي سعيد . هل يمكن تعليم المرأة الشرقية المتزوجة مبادئ العلوم الضرورية مثل القراءة والكتابة وان كان ذلك ممكنًا فاذكروا لنا كيفية تعليمها والكتب اللازمة لذلك

ج اننا لا نرى مانعًا يمنع المرأة الشرقية من تعلُّم القراءة والكتابة وقد عرفنا نساء شرقيَّات تعلمنَ القراءة ومنذ بضعة ايام قرأنا مكتوبًا كتبتهُ واحدة منهنَّ. وعرفنا ايضاً كثيرات من النساء الانكليزيات والاميركيات تعلمنَ اللغة العربية قراءة وكتابة. واول شيء فعلتهُ زوجة اشهر رجل من الانكليز في هذا القطر انها اتت بمعلمة تعلمها اللغة العربية . فان كانت النساء الاجنبيَّات يتعلمن ان يتكلمن اللغة العربية ويقرأنها ويكتبنها فاحرِ بالنساء الوطنيات ان يتعلمنَ ذلك وهو اسهل عليهنَّ لانهن يتكلمن العربية ويفهمنها جيدًا . اما الكتب فكتب القراءة البسيطة والعبرة ليس بالكتاب بل بالمعلم فالمعلم الماهر في فن التعليم يعلّم في كل كتاب ومن غير كتاب

(١٥) تقميط الاطفال

ومنهُ ومن يوسف افندي بشتلي . هل الاصح للطفل ان يلف لفًّا محكمًا و يربط مع يديهِ كما يفعل السوريون في بلادهم او يترك من غير لف (تقميط) كما يفعل المصريون

ج ان يترك من غير تقميط

(١٦) استحمام الطفل

ومنهُ . ارجو الافادة عن كيفية استحمام الطفل الرضيع

ج قد شرحنا كيفية استحمامهِ او غسلهِ من حين يولد وذلك في الصفحة ٣٨٨ من المجلد الثاني والعشرين وفي الصفحة ٤٨٤ من مجلد هذه السنة

باب الاخبار العلمية

المدرسة الكليَّة ورئيسها الجديد

ذكرنا قبلاً ان استاذنا الفاضل الدكتور دانيال بلس استعفى من رئاسة المدرسة الكلية الاميركية وان مديري المدرسة انتخبوا نجلهُ الدكتور هورد بلس رئيساً لها. وقد كُتب الينا من بيروت ان الرئيس الجديد وصل اليها في الحادي عشر من نوفمبر فاستقبلهُ جمهور غفير يتقدمهُ قنصل اميركا الجنرال والدكتور دانيال بلس واساتذة المدرسة الكلية وساروا بهِ الى المدرسة وكان جرسها الكبير يدق مرحباً بهِ

وكان تلامذة اقسام المدرسة وعددهم يزيد على ست مئة تلميذ مصطفين بين القسمين الطبي والعلمي وتلامذة كل قسم من الاستعدادي والعلمي والطبي والصيدلي والتجاري يمتازون بشرائط ملونة وضعوها على صدورهم وباعلام عليها كتابة تخفق فوق رؤُوسهم. فلما وصلت مركبة الرئيس الجديد هتف التلامذة كلهم بالدعاء الحميم وساروا حولها. وظهرت اقسام المدرسة في زينات بديعة نسقت فيها الازهار والاغصان الخضراءُ وسعف النخل والرايات اجمل تنسيق ونصب في ساحتها الكبرى قوسا نصر بينهما دكة للخطابة فوقفت مركبة الرئيس امامها وتبارى الخطباءُ فناب واحد من تلامذة كل قسم عن رفاقهِ التلامذة وخطبوا بلغات مختلفة واظهروا مزيد سرورهم برئيسهم الجديد ودعوا لهُ بالعيش الرغيد والعمر المديد

ثم صعد الرئيس وخطب في جمع الاساتدة والتلامذة والجماهير المحتشدة باللغة الانكليزية فوقع كلامهُ احسن وقع في النفوس ومما قالهُ: ان كل ما يراهُ من مظاهر الاحتفاء والابتهاج انما هو عائد لوالدهِ الذي صيَّر لرئاسة هذه المدرسة الاهمية التي هي عليها اليوم بسعيهِ واجتهادهِ. وشكر لكل الذين ساعدوا والدهُ لجعل هذه الكلية عظيمة خطيرة وخصَّ بالذكر منهم المرحوم الدكتور كرنيليوس فان ديك وجناب الدكتورين ورتبات وبوست ووعد بانهُ يسير على خطة والدهِ في انجاح المدرسة

وكانت دموع المحبة الوالدية والسرور تتساقط على خدي والدهِ الذي كلل رأسهُ البياض في خدمة هذه المدرسة. ولما فرغ من خطبتهِ عانقهُ والدهُ وساروا الى منزلهما

وفي المساء ظهرت المدرسة في زينة بديعة وأُطلقت الاسهم النارية

حروف الهجاء في العصر الحجري

بينما كان الناقبون ينقبون في لسكوليس

ببلاد ثساليا عثروا على اشياءَ كثيرة من صنع العصر الحجري ومن جملتها نواويس محفوظة تمام الحفظ وقد نقشت على اغطيتها خطوط غريبة ليس كمثلها بين حروف الهجاء المعروفة . فاستدلَّ علماءُ العاديات من ذلك على ان اهل العصر الحجري اصطلحوا على علامات او نقوش يعبرون عن معانيهم بها وبالتالي انهم كانوا يقرأُون فوقع هذا الاكتشاف عند اولئك العلماء وقعاً عظيماً

اصل الحياة

الَّف فون شاروف كتاباً بالروسيَّة في اصل الحياة ارتأَى فيهِ انهُ يمكن رد الافعال الحيوية كلها الى اتحاد دقائق الحديد التي في الاجسام الحيَّة بالاكسجين وبيَّن ان في كل الاجسام الحيَّة دقائق صغيرة فيها حديد اطلق عليها اسم بيونكليين وقال انها هي التي تتحد بالاكسجين فتبدو منها الافعال الحيويَّة على اختلاف انواعها

زلزلة كشغر

كتب الى جريدة الستندرد من اودسا ان زلزلة كشغر التي حدثت في ٢٢ اغسطس الماضي كانت افتك مما قيل عنها فانها قتلت ١٧٠٠ نفس في نجني ارتش الى الشمال الشرقي من كشغر وقتلت ٦٠٠ نفس في كشغر نفسها وضواحيها وخربت قرية باش كريم وقتلت سكانها كلهم وعددهم ٥٥٠ وجملة قتلاها ٣٠٠٠ نفس

الوفيات في ايطاليا

ظهر بالاحصاء ان عدد الوفيات في ايطاليا كان ٣٤ وثلث في الالف سنة ١٨٦٧ فبلغ ٢٠ وثمانية اعشار في الالف سنة ١٨٩٩ اي قل نحو ١٣ ونصف في الالف وما ذلك الاَّ لانتشار التدابير الصحية في البلاد وقد زاد عدد السكان بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٩٩ عشرة ملايين نفس واكثر هذه الزيادة ناتج عن هذه التدابير الصحية التي قللت عدد الوفيات

ثوران البراكين

وردت الاخبار من هونولولو في الحادي عشر من نوفمبر ان بركان كيلويا ثار ثوراناً عنيفاً جداً لم يثر مثلهُ منذ عشرين سنة الى الآن . وقد وصفنا هذا البركان وبحيرة النار التي فيهِ في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف. وجاء من ايطاليا ان بركان سترمبولي ثار في ١٦ نوفمبر وقذف الحمم . وحدثت زلزلة في اوران من اعمال الجزائر في السابع عشر من نوفمبر

عظام كولمبس

يقول الاسبانيون ان عظام كولمبس بقيت في سنتودومينيغو حتى سنة ١٧٩٦ ومن ثم نقلت الى هفانا في كوبا . ولما نشبت الحرب بين اسبانيا واميركا حديثاً نقل الاسبانيون هذه العظام الى اسبانيا ودفنوها باحتفال عظيم في كنيسة اشبيلية الكبرى في السابع

عشر من نوفمبر الماضي . ولكن بعض المحققين يقول ان ما نقل من سنتو دو مينيغو الى هڤانا ليس عظام كولمبس بل عظام ابنهِ وان عظام كولمبس لم تزل في مكانها

بالون لبودي

جُرّب هذا البالون في نتس بفرنسا في الثالث من نوفمبر وكان الذين ركبوهُ يديرونهُ كيف شاؤُوا ويعودون بهِ الى المكان الذي طار منهُ. وبلغت سرعتهُ ٢٥ ميلاً في الساعة مع انهُ كان يسير ضد الريح

بين الذئب والكلاب

اثبت الماجور منرس سمث في مجلة الجمعيَّة الاسيويَّة وجود حيوانات متولدة بين الذئاب والكلاب ممَّا يدلُّ على ان الذئب والكلب من اصل واحد

مصل الحمى القرمزيَّة

اكتشف الدكتور موزر من ڤينا مصلاً يشفي من الحمَّى القرمزيَّة ويقال انهُ جرَّبهُ في ٤٠٠ مريض فلم يمت منهم الَّا تسعة في المئة

فتح الخزان

خزان اصوان سدٌّ من البناء طولهُ ميل وربع وعلوهُ ٦٥ قدماً ويزيد على ذلك في بعض اقسامهِ حتى يبلغ ١٣٠ قدماً ومتوسط عرض اساسهِ ٦٠ قدماً وعرض الطريق التي على ظهرهِ ٢٤ قدماً وفيهِ ١٨٠ عيناً مختلفة الاوضاع . ويرتفع سطح الماء بهِ ٤٦ قدماً فيتكوَّن من ذلك بحيرة طولها ١٥٠ ميلاً يجمع فيها من الماء نحو ١١٤٠مليون طن او متر مكعب وفي الطرف الغربي منهُ ترعة (هويس) لسير السفن فيها خمسة ابواب طول الكبير منها ٥٩ قدماً وعرضهُ ٣٠ قدماً. وقد بلغ عدد العمال في هذا السد نحو عشرة آلاف نفس يومياً مدة السنوات الاربع الاخيرة التي اقاموهُ فيها واضيف الى الحجارة الصماء التي بني بها عشرة آلاف طن من الحديد. وقد وُصف بالاسهاب ورسمت صورتهُ في آخر المجلد الرابع والعشرين من المقتطف. وسيحتفل بوضع الحجر الاخير منهُ وفتح نحو ٢٠ عيناً من عيونهِ وفتح الهويس المتصل بهِ يوم الاربعاء في ١٠ دسمبر الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر يحضر هذا الاحتفال الجناب الخديوي ودوق كنوت وزوجتهُ . وكثيرون من العظماء وسنأتي على وصفهِ في الجزء التالي

الآثار البابليَّة

اهدى جلالة السلطان الى الدكتور هلبرخت الاميركي جانباً كبيراً من الآثار البابليَّة التي وجدت حديثاً اعترافاً بفضلهِ فوضعها الاستاذ هلبرخت في معرض مدرسة بنسلڤانيا الجامعة باميركا

ميكروبات المثلوجات

يراد بالمثلوجات ما يجمَّد بالبرد الشديد

من لبن ونحوهِ ويسمَّى في مصر كريما او جلاتا وفي سورية بوظه . وقد امتحنت ادارة الصحة في مدينة لندن كثيرًا من هذه المثلوجات فوجدت فيها ميكروبات كثيرة بعضها من الميكروبات المرضية كميكروب الاكزيما الخبيثة والميكروبات التي تسبب التهاب المعدة والامعاء

تغير منكب الجوزاء

منكب الجوزاء اسم النجم الاكبر في صورة الجبار من صور النجوم رصدهُ الفلكي هرشل بين سنة ١٨٣٥ و ١٨٤٠ فوجد فيهِ بعض التغير وقد زاد تغيرهُ الآن فزاد اشراقهُ ليلة الخامس عشر من شهر اكتوبر الماضي حتى قارب الشعرى

تلغراف رولند

وصفت السينتفك اميركان التلغراف الذي استنبط اسلوبهُ الاستاذ رولند وهو يطبع الاشارات البرقية طبعًا بحروف مطبعية ويبلغ ما يطبع بهِ ١٩٣٠ حرفًا في الدقيقة الواحدة او ٣٢٠ كلمة. وقد استعملت الحكومة الاميركية هذا التلغراف على خطوط طولها ٥٥٠ ميلاً

موْتمر السل

عقد مؤتمر السل في برلين وخطب فيهِ الدكتور كوخ عن انتقال عدوى السل من البقر الى البشر فايَّد قولهُ السابق الذي قالهُ في مؤتمر لندن وهو ان البشر الذين يأكلون لحم البقر المصابة بالسل ويشربون لبنها لا يعدَون بالسل منها

بالون سنتوس ديمون

عزم سنتوس ديمون على عمل بالون يركبهُ ويسير فيهِ فوق باريس من جهة الى اخرى ويكون اصغر من كل بالون صنعهُ قبلهُ يكون طولهُ ١٨ قدمًا فقط ومساحتهُ ٢٦٠ يردًا مكعبة وشكلهُ بيضي قطرهُ الاطول ثلاثة اضعاف قطرهِ الاصغر تمتد منهُ اسلاك معدنية الى السلة التي يجلس فيها وهناك آلة بخارية صغيرة بقوة ثلاثة احصنة ثقلها ٢٦ رطلاً مصريًّا فقط تدير لولبًا ٢٠٠ دورة في الدقيقة فيسير بهِ البالون مسافة ١٨ قدمًا في الثانية من الزمان. وثقل البالون كلهِ مع آلتهِ وسلتهِ ٤٦٠ رطلاً وسيملا بالهيدروجين

وقد قال سنتوس ديمون للمستر جمس فلنَ محافظ سان فرنسسكو السابق انهُ اذا وُجد من يتعهَّد لهُ بدفع مئتي الف ريال فهو يصنع بالونًا على نفقتهِ ويسير بهِ من باريس الى سان فرنسسكو ولا يأخذ المال الا اذا وصل الى سان فرنسسكو سالمًا

الالكتروغراف

او التلغراف الذي تُرسل بهِ الصور فيرسمها رسمًا . استنبطهُ رجل اميركي اسمهُ هبربرت بالمر منذ مدة واصلحهُ الآن اصلاحًا تامًّا وقد رأينا صورة الرئيس مكنلي مرسومة بهِ وهي

واضحة تظهر بها هيئتهُ اتم الظهور . وكيفية نقل الصور بهِ أن ترسم الصورة على صفيحة من الزنك بالحفر الكهربائي كما ترسم للطبع وتلف الصفيحة على اسطوانة تدور امام قلم يمرُّ على كل نقطة منها فيتصل المجرى الكهربائي او ينفصل حسب اتصال القلم بنقطة بارزة او بنقطة محفورة . هذا حيث ترسل الاشارة الكهربائية ويكون على الجانب الآخر حيث تصل الاشارة الكهربائية اسطوانة اخرى مثل هذه عليها ورقة تدور امام قلم فيهِ حبر فكلما اتصل المجرى الكهربائي وقع القلم على الورقة ورسم عليها نقطة او خطًّا حسب اتصال المجرى . وحينما ينقطع المجرى يرتفع العلم عن الاسطوانة. ويرسم بهذه الآلة ما طولهُ عقدة من الاسطوانة في الدقيقة من الزمان وطول الاسطوانة ٢٤ عقدة فاذا كانت الصورة تملأُها كلها ارتسمت صورتها في ٢٤ دقيقة . ويمكن ان تكتب مقالة كبيرة وتلف على الاسطوانة فترسل كلها بهذا التلغراف ويكون متوسط ما يرسل منها ٣٠ كلمة في الدقيقة

اكبر المدافع

صنع الاميركيون مدفعاً ثقلهُ ١٣٤ طنًّا وطولهُ نحو خمسين قدماً وثقل قنبلتهِ ٢٣٧٠ رطلاً ولا بدَّ لحشوهِ واطلاقهِ من آلة ثمنها مئة الف ريال ويقال ان قنبلتهُ تعلو في الجو ستة اميال ويبلغ مداها احد عشر ميلاً وتخرق لوحاً من الصلب سمكهُ متر وثمانية سنتمترات وهو اكبر المدافع التي صُنعت حتى الآن واقواها فعلاً ولا شيءَ من الدروع يمتنع عليهِ ولو كان على ستة اميال منهُ

القنديل الكهربائي

حدث اصلاح مهمٌّ جدًّا في القنديل الكهربائي يقلل نفقتهُ نحو خمسين في المئة وذلك باستعمال الخيوط الدقيقة التي استنبطها كروفرد وفلكر . وقد امتحن السر وليم بريس الكهربائي هذا القنديل فوجد انهُ يتوفَّر بهِ عند اول استعمالهِ نحو ٤٠ في المئة وبعد ما يستعمل ٥٠٠ ساعة يتوفَّر بهِ اكثر من خمسين في المئة وبعدما يستعمل الف ساعة يصير يتوفَّر بهِ نحو ٤٢ في المئة

شمع الشجر

في جبال الاندس باميركا شجر يعلو حتى يبلغ ارتفاعهُ ٢٠٠ قدم يتولَّد بين خشبهِ وقشرهِ شمع كشمع العسل ويجمع من الشجرة الواحدة عشرون رطلاً الى ثلاثين

المرأة الملتحية

ذكرنا غير مرة امرأة ذات لحية طويلة كانت تعرض في المعارض العمومية ويدفع لها في الشهر نحو اربع مئة جنيه . وقد توفيت الآن في مدينة بروكلين باميركا وعمرها ٣٧ سنة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين

١١٣٧ المتحف المصري (مصوَّرة)
١١٤١ كلية غوردون
١١٤٥ ارسطوطاليس والمتنبي
١١٥٢ الزاجل ومزاجلهُ لمحمد افندي كرد علي
١١٥٨ ارباب المال والاعمال
١١٦٣ ناموس النشوء في تقدم العمران . لمتري افندي قندلفت
١١٦٩ نبأٌ من اليابان (مصوَّرة)
١١٧١ نصائح لسلامة العيون . للدكتور ابرهيم صليبي
١١٧٤ عروسة النيل
١٨١٦ الطب والنظافة . لاحد القراء

* * *

١١٨٩ باب الزراعة * دودة القمح وعلاجها . تسمين المواشي . مستقبل الزراعة المصرية . فوائد التوت . القمح ونيترات الصودا
١١١٥ باب المراسلة والمناظرة * كتاب شكر الى القمر . التواريخ العربية . نجاح اليابان الموهوم
١٢ ٢ باب الصناعة * الرخام الصناعي . نسج الياف الخشب . تسويد الخشب . نقل الصور على الخشب لحفرها . الصاق قطع الباغا . الغليسرين للسن بدل الزيت
١٢٠٤ باب التقريظ والانتقاد * اشهر مشاهير الاسلام . العربية والقبطية . آثار لبنان . المحيط . الجغرافية الجديدة . نيل الارب في موسيقى الافرنج والعرب . رسالة
١٢١٠ باب تدبير المنزل * بنات مصر والتعليم . الطعام والغذاء . نصائح لتقوية الشعر . اعمال النساء
١٢١٤ باب المسائل * بكاء الاطفال . رجة الانفجار . قاموس عربي مصوَّر . تأثير الشيطان . الفصد في الكوليرا . الاسكندر ذو القرنين . الفصد في الكوليرا . علاج الكوليرا . كلمة التلبثي . معمل الورق . علموا بناتكم الطبخ . سم الحامض الكربونيك . رؤية الله . تعليم المتزوجة . تقميط الاطفال . استحمام الطفل
١٢١٩ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٢ نبذة